

اللغة العربية الفصحى

جدة اللغات الهندية الأوروبية وأصل الكلام

تأليف : تحية عبدالعزيز إسماعيل

عرض ودراسة : يحيى الكيلاني

(القسم الأول)

Ismail , T.A / Classic Arabic as The Ancestor of Indo - European Languages and Origin of Speech . - Cairo : AL Ahram Press , 1989 .

٢ - البداية

من مقال أخبار اليوم ومقدمة المؤلف نفهم أنها وقعت خلال تدريسها لقواعد اللغة الإنجليزية على مجموعة من المفردات قريبة من مثيلات عربية ، ومن حسن الحظ أنها كانت تدون هذه الملاحظات ، حتى تجمع لديها قدر لا يصح معه أن تكون هذه العلاقة صدفة عابرة .

تقول المؤلف إنها قضت عشر سنوات في إنجاز هذه الدراسة . وقد يظن القارئ للوهلة الأولى أن هذا الادعاء فيه شيء من التهويل أو المبالغة ، ولكن هذا الظن سيتحول إلى إعجاب وهو يقرأ هذا الكتاب ، ويتابع هذا الصبر المذهل من الكاتبة ، وهي تتحرى أصول الكلمات في الانجلى والانجليج واللاتينية واليونانية والجرمانية ، ناهيك عن اللغة العربية ، وتعجب كل العجب من الكاتبة وهي تتابع الجنور اللغوية ، وكيف كانت قبل آلاف السنين ، ربما قبل أن يبدأ التاريخ ، وكيف انتقلت هذه المفردات في رحلة طويلة على ملايين ملايين الشفاه ، وما أصابها من التغير والتحول في

١ - صدفة خير من ميعاد

من عادتي أن أتصفح المجلات والصحف القديمة في دكاكين الحلاقين والمكاتب وعيادات الأطباء ! - ومن عجب أنها دائماً قديمة !! - فوجدت في عدد من أعداد أخبار اليوم مقالاً يعرف بهذا الكتاب و مؤلفته . راقنتني فكرة الكتاب وبدأت رحلة البحث عنه ، ولم تكن سهلة أبداً ، حتى وافاني به أخ مصري كريم هو الأستاذ فاروق عبدالعزيز . الكتاب باللغة الإنجليزية ، ويقع في مئتين وست وثمانين صفحة من الحجم المتوسط ، وفي آخره تعريف بالكتاب باللغة العربية يقع في ثلاث صفحات ، فيكون مجموع صفحاته مئتين وتسع وثمانين صفحة ، متوسط عدد سطور كل صفحة ثمانية وثلاثون سطراً ، فهو كتاب مكتنز ، ولكنه مشوق ، لا تكاد تنتهي من دراسة مجموعة من الأمثلة في صفحة حتى تتعجل الوصول إلى المجموعة التالية . وهذا لا يعني أبداً أن الكتاب من النوع السهل ؛ بل هو من أكثر الكتب جدية ورصانة .

* إلى القارئ الكريم : استعملت هذين الاختزالين لكثرة تكرارهما في هذه الدراسة : الإنجليزية القديمة : الانجلى ؛ الإنجليزية الحديثة : الإنجليج .

رحلة الزمن ورحلة الجغرافية . وتحاول أن تصل إلى ما يشبه القاعدة التي تثبت فرضيتها ، وهي أن اللغة العربية أصل اللغات التي تتحدث عنها .

٣ - حدود البداية

العلاقة بين اللغة العربية وبقية اللغات الهندية والأوروبية كما هي في هذا الكتاب ليست أبداً تلك العلاقة التي قامت بين اللغة العربية وبين اللغات الأوروبية في نهاية العصر الوسيط ، عندما أخذ الأوروبيون يترجمون المؤلفات العلمية العربية إلى لغاتهم ، وكانت حركة الترجمة هذه سبباً في انتقال مئات الألفاظ العلمية والحضارية من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية ، ليس الأمر هكذا عند المؤلف ، إنه أوسع من ذلك بكثير ، وأقدم من ذلك بكثير ، إنه عودة إلى الجذور اللغوية نفسها ، وهذا يعني بتعبير أدق العودة إلى طفولة الإنسانية ونشأة الاجتماع الإنساني ، ونشأة اللغة . ليس البرهان على ذلك أمراً سهلاً ، كيف تبرهن على أمر حصل قبل عشرة آلاف سنة ، أو تزيد ؟ هذا ما حاولت أن تقيم الدليل عليه في هذا الكتاب .

المؤلفة لم تستعمل في دراستها التي استغرقت قرابة ثلاث مئة صفحة غير لفظ أو لفظين من الألفاظ التي انتقلت بالتفاعل الحضاري بين العرب وأوربة . أحدهما تعليل لاسم مكتشف أمريكا أمريكو فيسبوتشي ، وقالت إن أصل اسمه (أمير) ، وذكرت أنه انتقل في ذلك العصر .

٤ - الأصل والظلال

هذه الدعوى إذا صحت فلن تكون نتائجها مقتصرة على اللغة وحدها ، بل ستترب عليها نتائج مهمة جداً في نشأة الاجتماع الإنساني ، ونشأة الحضارة ، ونشأة اللغات أيضاً . وستغير النظرة - ربما رأساً على عقب - إلى كثير من الأفكار والنظريات التي تعدّ حتى اليوم من المسلمات ،

أو لا يوجد على الأقل ما يناقضها .
الدعوى إذن ليست بظل واحد ، ولكنها ذات ظلال متعددة . والمؤلفة تدرك جيداً الأبعاد المترتبة على دراستها ، ولذلك تجنبت عامدة مئات الألفاظ التي انتقلت من العربية إلى اللغات الأوروبية في عصر الترجمة .

٥ - المساعدون المجهولون

في مثل هذه الدراسات ، كلما ازداد توغل الباحث إلى الوراء ، قل عدد مساعديه الذين يقدمون له العون ، حتى يأتي عليه وقت يقف فيه وحيداً ، أو شبه وحيد . المؤلف لم تنس أن توجه شكرها العميق إلى أكبر المساعدين لها على إنجاز هذه الدراسة ، وتأسف أن ليس بينهم اليوم رجل حي ، وهم اللغويون والنحويون العرب الأوائل ، الذين أحبوا هذه اللغة ؛ بل عشقوها ، ولم يتركوا كلمة قالها العرب لم يدونها - وهذا رأي يخالف المؤلف الفاضلة فيه ؛ لأنهم لم يدونها إلا لهجة قريش ، وكل ما له صلة بلغة القرآن الكريم والشعر العربي - وتصفهم وهي على حق ، خدموا هذه اللغة الشريفة ؛ لأنهم أحبوها ، وتعترف بتواضع ، أنها لولا جهود هؤلاء الجنود المجهولين لما تمكنت من فهم الرمزية الصوتية للغة العربية ، وهي - أي الرمزية الصوتية - هاجس المؤلف ، وربما كانت الغاية الثانية من دراستها . ولم تنس أن توجه شكراً عميقاً إلى الدكتور ج . بوزورث ، الذي كانت دراسته الممتازة عن الانجلق أساس دراستها ، وقالت إنها لولا هذه الدراسة لما تمكنت من إنجاز هذا الكتاب .

٦ - مراجع الكتاب

إن الحديث عن مراجع المؤلف لا يجب أن يكون مكانه هنا ، ولكن الشيء بالشيء يذكر . لقد ذكرت الكاتبة ثبناً بمراجعتها الغربية على الصفحة (٢٨٦) ، وثبناً بمراجعتها

٧ - هل غادر الشعراء من متردم؟؟؟

في الفصل الأول من الكتاب تحدثت الكاتبة عن نشأة اللغات السامية ، وعن علاقة هذه اللغات ببعضها ، وتحدثت عن نهضة اللغة العربية الفصحى والشعر العربي حديثاً موجزاً ولكنه عميق وافٍ ، فالشعر العربي على درجة من النضج الحضاري واللغوي والفكري يستحيل معها أن يكون نتاج المئات القليلة من السنوات التي اتسعت لها ذكريات الرواة ، ولم تنس أن تستشهد بقول عنتره : هل غادر الشعراء من متردم؟

لا بد أن ترائاً عظيماً قد ضاع في ذكريات الرواة ؛ لأن العرب لم يكونوا أمة تدوين ، ولكنه تراث عظيم ماجد مائل في هذا التراث اللغوي الشعري الناضج ، وفي هذه الآلة اللغوية المصقولة الفخمة التي اسمها : العربية الفصحى .

٨ - الرحلة إلى ما قبل التاريخ

في الفصل الثاني بدأت الكاتبة البحث الذي خصصت كتابها لأجله ، وأن أفضل وسيلة للتعريف بأفكار الكاتبة وأغراضها أن تنتقل إلى القارئ بعض عناوين فقرات هذا الفصل :

- * الألفاظ المتعلقة بالسماء والأرض .
- * الألفاظ المتعلقة بالوجه وأعضائه .
- * الألفاظ المتعلقة بالبدن .
- * الألفاظ المتعلقة بأفراد الأسرة .
- * الألفاظ المتعلقة بالآلآاب .
- * الألفاظ المتعلقة بالحيوانات الأهلية .
- * الألفاظ المتعلقة بالحياة البرية .
- * الألفاظ المتعلقة بالعقائد والديانات .
- * الألفاظ المتعلقة بالأطعمة .

العربية على الصفحة (٢٨٧) ، ومما يلفت الانتباه أنها لم تذكر بينها دراسة الدكتور لويس عوض عن اللغة العربية وأنها أصل الكلام في العالم ، على الرغم من أن هذه الدراسة صدرت قبل دراسة المؤلفة بوقت غير قصير ، وعلى الرغم من شدة هاجسها بالرمزية الصوتية ، فإنها لم تذكر مرجعاً واحداً من المراجع القديمة التي تحدثت عن هذه الرمزية ، وأولها الخصائص لابن جني . وأرجو ألا يحمل أحد كلامي هذا على أنه يحمل أي قدر من الاتهام للمؤلفة ، ولكنه كلام تمليه الحقيقة العلمية والمناقشة الموضوعية ؛ لأن المؤلفة قد يصدق أنها لم تسمع بهذه الدراسة أو لم تقرأها .

لقد قرأت هذا الكتاب مرتين ، ومع ذلك لم أستطع أن أميز بين ما أخذته الكاتبة عن مراجعها ، وبين ما أضافته من عندها ، باستثناء إشارات عابرة «للمزيد عن هذه الفكرة . راجع كذا ...» . ولولا ملاحظة في حديثها عن بدائل الكاف في الانجلق ، قالت : «راجع بينون لأمثلة حديثة في الجرمانية» ، لولا هذه الملاحظة لظننت أن نظرية البدائل من نتاج دراستها ، وربما كان الأمر كذلك ، وربما كان قسم كبير من دراستها عن البدائل من جهدها ، ولذلك فإن المؤلفة ظلمت نفسها بالدرجة الأولى عندما لم تحدد مراجعها بدقة منهجية ، ولم تساعد قارئها على تكوين فكرة واضحة المعالم عن دراستها . ولا بد أن نذكر هنا أن قراء المتخصصين في الشرق والغرب لا يزيد مجموعهم على بضع عشرات أو بضع مئات على أبعد تقدير ، وبذلك تكون قد حجّمت وأنقصت عدد المستفيدين من دراستها فائدة كاملة .

ولعله من المناسب أن نذكر هنا أن كتابها موجه للقارئ الغربي ، ولذلك تجد فيه شروحات لا يحتاج إليها القارئ العربي .

الطين . ولكننا إذا تعمقنا في التاريخ لا نجد هذا المعنى عند الرومان ولا عند فلاسفة الإغريق . إن فكرة خلق الإنسان من الطين لا نجدها إلا في الديانات السماوية الثلاث ، فكيف انتقل هذا المعنى إلى لاتينية الرومان ؟ وهل كان عندهم في عصور ما قبل التاريخ ديانة توحيدية أم نقلوا معهم هذا المعنى من جزيرة العرب ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال سنجدها عندما نتبع

ألفاظ الديانات في هذه اللغات !

إن كلمة (حما) العربية هي الأصل اللغوي لكلمة Homo ولكلمة Homus ، وفي القرآن الكريم (ولقد خلقنا الإنسان من حمأ مسنون) ، وهي أيضاً أصل كلمة Human في الانجلى التي تعني (إنسان) ، ولكن العربية تعود إلى جذر آخر .

* من المعتقدات المشتركة بين قبائل الجنوب العربية وقبائل الشمال صنم يدعى (ودان) ، وهو عندهم إله القمر ، وله زوجة هي الشمس . سنجد عند القبائل الجرمانية صنماً يدعى Woden ، وفي الانجلى سنجد صنماً يدعى Odin ، وله عندهم زوجة وولد ، مع الفارق ، أنه عندهم إله الرعد بينما هو عند العرب إله القمر ، وليس هذا التبديل خطيراً مع الانتقال من سماء جزيرة العرب الصافية إلى بلاد كثيرة الزوايح والرعود .

* ومقابل (مناة) آلهة الخلود والموت عند قبائل الجنوب نجد في الجرمانية Maenon وفي الانجلى نجد Mona .

* عند النقل قد يتحول المصدر إلى فعل ، أو إلى اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو غير ذلك ؛ وينتقل وحده دون بقية أفراد الأسرة اللغوية ، فكلمة صيف مثلاً في اللاتينية هي Este ، ولكنها لم تؤخذ من الجذر الفعلي (صفا) كما هو شأنها في العربية ؟ ، بل من فعل آخر ، إن البحث عن مكان للاصطيفاء فعله في العربية اصطاف وقريبه اللاتيني Estivo ، ومن هذا الفعل الأخير جاءت كلمة Este التي تساوي كلمة صيف في

هذه العناوين تكشف عن هدف الكاتبة ، وتكشف أيضاً عن مخططاتها في البحث . ومن هذه الأبواب المختلفة سنقدم للقارئ بعض الأمثلة :

* الأرض في الانجلى Eorde ، ونجد أيضاً Eorthan ، وفي الغالية Erde ، وفي الهولندية Aarde .
* العربية حافة يقابلها في الانجلى Hefen و Heofen ، وفي الانجلى Hevean .

* أذن في الانجلى Ear ، وفي الجرمانية Awzon .
* البق أو الفم ، في الانجلى Mouth ، وفي اللاتينية Il bocca .

* بدن في الانجلى Bodig ، وفي الانجلى Body .
* عنق في الانجلى Hnecca ، وفي الانجلى Neck ، وفي الفرنسية Nuque .

* توأم في الانجلى Twin ، وفي الانجلى Twin ، وفي اللاتينية Geminio المقابل اللاتيني لكلمة توأم قد يجعلنا نظن بأنه من أصل غير عربي ، ولكن الحقيقة غير ذلك ؛ لأن المقابل اللاتيني جاء من جذر لغوي آخر هو (جمع) ومصدره (جمعاً) ، وفي الانجلى نجد هذا الجذر بصورة Gaderian ، الذي أصبح فيما بعد في الانجلى To gather .

* عمة في العربية يقابلها في الانجلى Aunt ، أما في اللاتينية فلا تزال الكلمة تحمل على رأسها الطرحة العربية بما فيها تاء التانيث : Amita .

* جارية يقابلها في الانجلى والانجلى Girl ، وترى المؤلفة بأن أصلها (جرو) ، وهي في العربية ليست للإنسان ؛ بل لكل أولاد الحيوانات من الذكور ، وهذه انتقلت إلى الفرنسية الحديثة Garcon ، وإلى الإيطالية Gazzone .

* كلمة شخص تعني في اللاتينية Homo ، ونجد أيضاً Hamus ، وهي في الوقت نفسه تعني الصلصال أو الطين ، وسمي الإنسان Homo ؛ لأنه مخلوق من

اللاتينية .

* عقدت الكاتبة مقارنة بين بعض الجذور المشتركة بين العربية واليونانية القديمة والانجلق :

العربية	اليونانية الق	الانجلق
كفن	Kofinos	Coffin
هلا	Halos	Halo
قمة	Akm	Acme

وأنا أرى أن الأقرب إلى هذه الأخيرة هو لفظ (أكمة) العربي وليس لفظ (قمة) .

* ومن باب الحيوانات الأهلية نختار الكلمات التالية :

العربية	الجرمانية	الانجلق
قط	Catt	Cat
شاه	Shaff	Sheep
ثور	Tawrus	Bufalo

إن كلمة (Bufalo) عربية الأصل أيضاً ، ولكنها جاءت من جذر لغوي آخر هو بقره .

* ومن باب الأعشاب والنباتات نختار بعض الأمثلة :

العربية	اللاتينية	الإنجليزية
نجيل	Mugil	Grass
عشب	Herba	Herb
أرز	Arisum	Rice
سدر	Cedrus	Cedar
عاق	Oac	Oak
وقود	Wud	Wood

* خصصت الكاتبة للخبز حديثاً ضافياً (الفصل التاسع -

ص ١٤) ، وبرهنت أن كلمة (خبز) العربية هي الأصل

اللغوي لكلمة (Bread) ، وبرهنت أن كلمة رغيف =

Loaf ثم تسالطت : هل كان عندهم أنواع مختلفة

للخبز ؟ الجواب عندها : نعم !! فنحن نجد في الانجلق

اسماً لنوع من الخبز يسمى (Temmes) ، إخواننا

السعوديون سيكونون أكثر دهشة من الجميع ؛ لأن خبز

التميس لاتزال مخابزه الخاصة به تعمل عندهم حتى

اليوم ، ولا يزال خبز التميز مفضلاً عند الكثيرين منهم

مع وجبة الصباح أو وجبة العشاء !!!

* وفي حديث الكاتبة عن الأغذية برهنت أن كلمة (مرق) هي

الأصل العربي لكلمة (Milk) ، وهي في العربية تعني

أي سائل يثرد الخبز فيه ، كما برهنت أن كلمة

(Torta) اللاتينية تنتمي إلى جدتها العربية فطيرة !!

* وفي مجال الإسكان ننقل عن الكاتبة الكلمات التالية :

العربية	الانجلق	اللاتينية	الانجلق
صرح	Hearh		
خص	Hus		House
قصر	Castle		
دار	Domus		Door
حمى	Ham		Home

* وكلمة (حمى) من الكلمات التي لا يمكن أن نمر بها مرور

الكرام ، وهي لا تعني في العربية كلمت (بيت) ، بل تعني

المكان الذي تشعر فيه بالأمن والطمأنينة والسلام ،

وقديماً كان هذا المعنى يتسع حتى يشمل أرض القبيلة

كلها ، ومن العجيب حقاً أننا سنجد هذا الاتساع في

المعنى في الانجلق . فلكلمة (هامبورج) مثلاً تتألف في

الانجلق من كلمتين Ham + burg ، وهي تعني برج

الدفاع أو الحماية ، وبالطريقة نفسها نجد أن كلمة

Bermingham مثلاً تعني حمى قرية أو أسرة

(Berming) ، ولك أن تفسر بهذه الطريقة كل

الهامات الأخرى التي تجدها في بلاد الإنجليز !!!

* ومن الأمثلة الطريفة الأخرى كلمة (Harbour) ،

ومعناها في ميناء أو ملجأ ، وأصلها السكسوني مؤلف

من كلمتين (Here) بمعنى هنا ، و (Beorg) بمعنى

برج ، وكانت قبل ذلك في اللغات الجرمانية القديمة

(Hunanburg) . وهي تعني : هنا برج . ولكن كلمة

(هنا) تغيرت مرتين ، المرة الأولى تغيرت بقانون يقضي

Loaf ، لكي أعطي القارئ فكرة صادقة عن الموضوع ؛ لأن في أمثال هذه الكلمات تحس بتعسف ستحاول المؤلف أن تقننه وتقعه في الفصول التي خصصتها للبدائل ، وبخاصة الحروف التي ليس لها مقابل في اللاتينية والانجلى مثل العين والغين والقاف - ... إلخ . ولكننا سنأخذ عن المؤلف مثلاً تطبيقاً يريح القارئ ويطمئنه :

أن كلمة هنا هنينا لا تبدو قريبة أبداً من مقابلها اللاتيني (Venia) ؛ لأن الهاء العربية تحولت إلى (V) . ولكننا لو حاولنا كتابة هذه الكلمة بالأبجدية اللاتينية لصارت (Henia) وهي قريبة جداً من اللاتينية (Venia) !!! ولكن هذا المثال لا يعني أبداً أن الأمور في بقية الكلمات ستسير معنا بهذه السهولة ولا بجزء منها ، إن كلمة تغير فيها حرفان ، كل حرف له بدائله ، فتصبح احتمالات قراءة الكلمة بضعة عشر احتمالاً أو بضعة وعشرين احتمالاً .

١٠ - أدوات التعريف

إن «ال» التعريف هي الكوفية والعقال التي يحملها الاسم العربي على رأسه حيثما سار ، ولا تزال بعض المفردات تحمل هذه «ال» على رأسها حتى اليوم ، ولكنها تحملها كجزء من الكلمة ولا تحملها كأداة للتعريف ، مثل (elsenior) في اللاتينية ، والفيل (Elephant) في اللاتينية والانجلى والانجلى معاً ، و (Allegator) التمساح أو القاطور !!!

أ - (ال) التعريف وهمزة الوصل كانت تحذف عند الانبساط وتحرك اللام بعدها إذا جاء بعدها حرف صوتي أو حركة مشبعة ، وبهذه الطريقة نفسها سنجد أن (ال) التعريف صارت في الفرنسية (le) للمذكر ، و (la) للمؤنث ، وفي الإيطالية بقيت (el) ..

ب - الطريقة الثانية للتعريف عند قبائل الجزيرة هي باستعمال (هـ) قبل الاسم ، وهي طريقة متبعة في العبرية

بتغيير المد في آخر الكلمة إلى (N) ، ثم تغيرت الـ (N) إلى (R) ، لوجود حرف أنقى في الكلمة نفسها وفقاً لقانون التغيرات by dissimilation . وكان سكان إنجلترا قديماً يبنون البروج على الساحل ليحتموا بها من غزوات الفايكنج ، ثم أصبحت بمرور الوقت منارات تقود السفن إلى الميناء .

* وفي مجال الألفاظ المخصصة للألقاب ننقل عن المؤلف الألفاظ التالية :

العربية	اللاتينية	الإنجليزية
السيد	Elsenior	Sir
نبيل	Nobilis	Noble
مسيطر	Magister	Master
شريف		Sheriff

* وفي مجال الكلمات الاجتماعية برهنت الكاتبة أن فعل (برطل) هو أصل كلمة bribe التي تعني رشوة . والكلمة تدل أيضاً على وجود نظام وقانون وضرائب ، ومحاولة للتخلص من هذه الضرائب ، أو للتهرب من تطبيق القانون . وكذلك كلمة جباية gabulum .

وأخيراً عندنا مثال نذكره للتلح أكثر مما نذكره للاستشهاد ، نحن لا نزال نقول حتى اليوم عن شخص قوي أنه بلوة ، وعن مصيبة إنها بلوة . سنجد في اللاتينية (belua) بمعنى الوحش المفترس ، وفي الانجلى (balewa) تعني الشيطان ، ومقابل المصدر بلاء سنجد في الانجلى (balu) ... (راجع ص ١٥١) .

٩ - وقفة للاستراحة

إن متابعة الأمثلة ستجعل الدراسة طويلة جداً ، فمن أراد المزيد ننصح بالعودة إلى الكتاب ، ولكنني أصارح القارئ بأنني اخترت عامداً الأمثلة التي تتقارب صوتياً مع الجنود العربية ، وأعرضت عن الكلمات التي فيها فروق صوتية كبيرة ، باستثناء كلمة خبز Bread وكلمة رغيف =

Woden وُدَا

Manon مناه

١٢ - كلمات عربية في الانجلى

وعن الملحق العربي ننقل هذا الجدول أيضاً ، وفيه كلمات مشتركة بين العربية والانجلى ، مع ملاحظة أنها ليست من مفردات عصر الترجمة :

وبما أن اللغة الإنجليزية الحديثة أصلها السكسونية وتأثرت إلى حد كبير باللاتينية نجد بها كلمات كثيرة عربية مثل :

Mod English	عربي	Mod English	عربي
hurry	هرع	tall	طال
shackle	شكل	call	قال
body	بدن	tell	تلى
wrist	رسغ	bluff	بلف
waist	وسط	hop	هَبَّ
song	صنغ	dip	دَبَّ
hay	هشيم	rock	رَج
sound	صوت	bottom	باطن
hail	هيل	bale	باله

ولا يمكن أن توجد لغات بها هذه النسب العالية من الكلمات المشتركة إلا لو كانت من أصل واحد ما هو الاصل ؟ اللاتينية ؟ أم السكسونية ؟ أم العربية ؟

حسب إحصاء اتخذناه عن عدد الجنور في تلك اللغات وجدنا الآتي :

Anglo-Saxon	Latin	Arabic
٢١٤٠ فعلاً	٨٠٠	١٦,٥٠٥
١٩٠٠ فعل + حرف	٢٢٤٠	٢٢,١٤٠

١٣ - اللغة العربية والمصرية القديمة

ختمت المؤلفة كتابها بفصل ممتع عن العلاقة بين العربية واللغة المصرية القديمة ، وقالت إن هذه اللغة تكونت

- وهي فرع من العربية - وفي لغة ثمود والقبائل الشمالية ، ومنها جاءت أداة التعريف في اللاتينية (hie) ..

ج - الطريقة الثالثة للتعريف هي باستعمال (ذا) ، وهي أداة إشارة عند العرب ولا تزال ، وقد استعملها الطائيون والعبيسون ، في مقابل ذلك نجد أن أداة التعريف في الانجلى والانجلى هي (the) ..

أما العسيريون فيقبلون (ذا) إلى (د) ، والمصريون يستعملونه بهذه الصورة في لهجتهم اليومية حتى اليوم ، في مقابل ذلك نجد أن أداة التعريف في الجرمانية هي (der) و (die) .

١١ - مع اللاتينية والانجلى

ننقل هذا الجدول بنصه عن الملحق العربي للكتاب ، لنوسع الفكرة التي أخذها الكاتب القارئ عن الكتاب ومضمونه :

أولاً : أن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية من أصل عربي و ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي وبالتالي الكلمات المشتقة منها مثل :

Anglo-Saxon	عربي	Latin	عربي
wara	ورى	rego	أرجو
hean	هين	curro	أكرُ
hwon	هون	dicere	نكر
wyrt	ورد	eo	أوى
daru	ضار	cavus	كهف
hryre	هرير	corus	قارص
hocor	حقَر	cinis	كنس
he	هو	captus	قبِضُ
heo	هي	amita	عمتي
hem	هم	necesse	نقص

كما أن بعض ألها القبائل الجرمانية وقبائل جنوب الجزيرة لها أسماء مشتركة مثل :

من تفاعل ثلاث لغات :

(١) لغة المصريين الأسبقين .

(٢) لغة الغزاة الجرمانيين .

(٣) لغة الغزاة الشماليين الآسيويين .

وهذه اللغات الثلاث كلها عربية الأصل ، ومن تفاعلها

جاءت لغة المصريين القدماء ، وقالت إن لغة المصريين

الأسبقين أو الأقدمين لغة مشتقة من العربية ، ولكنها

انفصلت عنها منذ دهور سحيقة تعود إلى ما قبل التاريخ ،

ثم تعرضت هذه اللغة لتغيرات عنيفة . والقاعدة العامة في

هذه اللغة هي قاعدة الاختصار ، اختصار الكلمات المؤلفة

من مقطعين أو ثلاثة إلى كلمات بمقطع واحد ، ثم مضت

المؤلفة في عرض أمثلتها وتعليقاتها ، ونقتطف منها الأمثلة

التالية :

العربية	المصرية القديمة	العربية	المصرية القديمة
شاة	sah	نهار	hru
مياه	mu	أب	abo
خاتم	xetem	نهر	neher
قطاع	Katai	يم	yama
عين ماء	ennu	صحوة	Sahua
خر	Kher	حقد	heqt
أصبر	usr		

ومن أراد المزيد ننصح بالعودة إلى الكتاب ، فإن فيه

أبحاثاً ممتعة ، وبخاصة عن ترجمة الكلمات التي عجز عن

ترجمتها المستمعون (المختصون بالدراسات المصرية) في

كتاب الموتى .

١٤ - حجة النسب

ما جوهر الأسلوب الذي اتبعته المؤلفة ؟

السيدة تعرف جيداً أنها تقيم دعوى عريضة ستجعل

عشرات الباحثين والدارسين من العرب وغير العرب يهبون

لرفضها والرد عليها ، ولذلك حددت في آخر الفصل الثاني

(ص ٢٤) مجموعة الشروط التي وضعتها لاعتبار صيغتين

متقاربتين لغوياً (cognate) :

(١) يجب أن تحتويا على الحروف الساكنة نفسها ، ولكن

ليس من الضروري أن تكون بالترتيب نفسه .

(٢) يجب أن تحمل الكلمتان الصيغة نفسها (pattern) .

(٣) يجب أن تأتي الصيغتان من الجذر اللغوي نفسه .

(٤) يجب أن يكون لهما الدلالة نفسها (referent) .

(٥) يجب أن يكون لهما المضمون التطوري نفسه

(semantic content) من حيث مدلول اللفظ

وارتباط الفكر باللغة .

إذا فقد أي شرط من هذه الشروط الخمسة ، فإن

الصيغتين موضوع المقارنة لا يمكن اعتبارهما قريبتين ما

لم يؤخذ بالحسبان الشرط المختل .

بشيء من التأمل يرى القارئ أن الشرطين الرابع

والخامس مكررين بكلمات مختلفة ، فلا يمكن أن يكون

للكلمتين المدلول نفسه ، وهما من الجذر اللغوي نفسه إذا لم

يكن المضمون التطوري واحداً أو متقارباً .

أما الشرط الثاني الذي تحدثت فيه عن وحدة الصيغة

(pattern) فلا بد من حديث وافٍ حوله . إذا كانت المؤلفة

تستعمل كلمة (pattern) مقابل ما نسميه في العربية

الوزن أو الميزان الصرفي ، فإن المؤلفة نفسها تعترف في

الفصل الحادي عشر أن اللغات التي انفصلت عن العربية

فقدت الموازين من جملة ما فقدت ، وأن بعض الموازين

الاسمية والفعلية لها بقايا متناثرة هنا وهناك ، تدل على

أنها كانت موجودة في يوم من الأيام ، وهذه البقايا

لاستقيم على الأوزان العربية إلا بعد لي وكسر عنق !!

وإذا كانت تعتبر أو تستعمل كلمة (pattern) بمعنى

الفرق بين الاسم والصفة ... إلخ ، فهي نفسها اعترفت

وقالت بالحرف الواحد : «عند النقل قد يتحول المصدر إلى

فعل أو إلى اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو غير ذلك ،

وغالباً إن لم يكن دائماً ينقل لفظ واحد فقط دون بقية أفراد

لاتينية تصيبها تحولات ليست هينة ، حاولت المؤلفة أن تتغلب عليها بوضع رموز خاصة للأصوات العربية المفقودة في اللاتينية والانجليزى ، مثل ص ؟ ، ض ، ع ، غ ... إلخ ، ولكن هذا لا يكفي ؛ لأن لكل حرف عربي حركة خاصة به ، ثم إن المؤلفة لم تلتزم بطريقة واحدة في رسم بعض الحركات التي رسمتها - لم ترسم الحركات دائماً - وإذا كانت قد فعلته في الفتحة بشكل مختلف ، فإنها لم تفعله دائماً في الكسرة والضمة ، وكان المفروض أن تطبع الأصول العربية بحروف عربية ، صحيح أن ذلك سيزيد من حجم الكتاب ، وسيزيد المتاعب مع المطابع والناشرين ، ولكن الدراسات العلمية لا بد فيها من التوضيح بهذه الصفات . ثم إن المؤلفة لم تزود كتابها بأي نوع من أنواع الشروحات الإضافية التي تعين القارئ العادي ، فأننا لم نجد في كل المراجع الموجودة لدي أن كلمة عاق تقابل كلمة oak التي معناها في الانجليزى سنديان ص ٢٢ ، ولم نجد أن كلمة أبهل معناها تفاح (apple) .

أما كلمة جرمن - المؤلفة تصر دائماً على رسم التنوين - الواردة في الصفحة ٢٣ مقابل كلمتي (corn - grain) ، فلم نجد أية رابطة بينها وبين القمح والذرة ، لا من ناحية الصيغة (pattern) ، ولا من ناحية المضمون التطوري . وإذا كانت المؤلفة ترى أن مضمون كلمة جرم وهو الحجم الصغير كافٍ لإعطائها شهادة نسب مع corn - grain ، فالجواب أن هاتين الكلمتين تتضمنان معنى الجرم الصغير المرتبط بالغذاء ، أما (جرمن) العربية فهي تدل على الحجم فقط ، وعلى الحجم الذي يمكن أن يكون كبيراً أو صغيراً من غير أي ارتباط بمعاني أخرى .

قلت (المراجع الموجودة لدي) ؛ لأن المؤلفة الفاضلة قضت في دراستها عشر سنوات ، وتبدو على قدر من العلم والدراية لا يصح معه لدارس أن يسارع إلى تخطئتها قبل التأكد من المراجع التي اعتمدت عليها .

أسرة المشتق ، وتبقى اللغة العربية وحدها الوحيدة في العالم القائمة على نظام الاشتقاق أو القبيلة اللغوية إن صح هذا التعبير .»

السؤال : كيف يستقيم هذا الكلام مع ما قالته في الشرط الثاني من أن الكلمتين المتقاربتين يجب أن تحملا الصيغة نفسها (pattern) ؟

أما كلامها عن المحتوى التطوري أو المضمون ، فسكتني هنا بذكر ما قالته في الصفحة ٢٢٩ في حديثها عن الفعل (to be) ، وأن قريبه في العربية هو (إن) .

(إن) عند علماء العربية حرف مشبه بالفعل وليست فعلاً ، ولكننا سنقبل من المؤلفة هذا التشبيه ؛ لأن النحويين العرب لمحا إلى معنى الفعل الكامن فيها ، ولكننا نقول للمؤلفة إن المضمون التطوري أو المعنوي لـ (إن) هو التوكيد وحده ولا شيء غير التوكيد ، أما المضمون التطوري لفعل (to be) فهو الوجود والوجود ، ولا يتضمن أي نوع من أنواع التوكيد : the book is on the table ، ويساويها في العربية تماماً : الكتاب على المنضدة ، والمؤلفة وهي الخبيرة باللغة الإنجليزية تعرف أساليب توكيد الفعل فيها ، ومن جملتها فعل (to be) أكثر مما نعرفها نحن ، ولو أراد المتكلم تأكيد هذه المعلومة لاستعمل أسلوباً آخر .

وإذا اعتبرت المؤلفة (إن) تفيد الوجود والوجود من ناحية نفي العكس أو الضد فهو احتمال بعيد ، ثم إن التوكيد الذي تفيد سيبقى مفقوداً من المقابل الأجنبي . سنكتفي بهذا المثال هنا ؛ لأننا سنناقش أمثلة أخرى عندما نصل إلى فصل الملاحظات العامة على الكتاب .

١٥ - المشقة الكبرى

المشقة الكبرى التي لاقيتها في قراءة هذا الكتاب لم تكن في عدد المصطلحات العلمية التي لا يعرفها إلا المتخصصون ، ولكنها كانت في ضبط الكلمات العربية المكتوبة بحروف لاتينية ، اللغة العربية عندما تكتب بأحرف

١٦ - الصعوبة الثانية : دفاعاً عن المطبعة والطباعين !!!

حديثي عن الأخطاء المطبعية يقتصر على المفردات العربية ومفردات الانجلى التي كتبت بها الدراسة . أما مفردات اللاتينية والانجلى وبقية اللغات القديمة التي كتب بها البحث فلا أملك المعرفة العلمية ، ولا المراجع التي تمكنني من ضبط الأخطاء المطبعية فيها إن وجدت . وفي حدود ما ذكرت ، يندر أن تجد صفحة في الكتاب بدون غلطة مطبعية ، وبعض الصفحات فيها غلطتان أو ثلاث ، أي نحن أمام مئتين وخمسين غلطة مطبعية على الأقل ، وهو رقم مربع حقاً ، وسيزداد ذلك أهمية عندما تعلم أن الكتاب ليس مزوداً بجداول للخطأ والصواب . وهذا الرقم لم أدخل فيه أخطاء ضبط الحركات ، ولا الأخطاء الناجمة عن عدم التزام الكاتبة بطريقة ثابتة لرسم الحركات . مثلاً : (لم) تجدها مرة (lam) ومرة (laem) ، واحدة منهما يجب أن تكون خطأ . إذا أدخلنا أمثال هذا في الحساب فإن عدد الأخطاء المطبعية يبلغ عدة مئات ، وقد يصل إلى الألف .

في كتاب علمي بهذا المستوى لا يسمح بمثل هذا العدد ولا بجزء منه ، والمسئولية تقع بكاملها على المؤلف أو على الشخص الذي اعتمدت عليه المؤلف .

وأنا أعترف بأن هذا الكتاب بسبب كثرة رموزه ومصطلحاته ، هو أصعب كتاب قرأته في حياتي من حيث مشقته على عمال الطباعة ، ولذلك فإن المسئولية تقع بكاملها على عاتق المؤلف ؛ لأن المراجعة من الصعوبة والمشقة والدقة بحيث لا يقدر عليها إلا الكاتب وحده ، أو شخص يساويه في الثقافة ودقة اطلاعه على الموضوع .

إن عامل المطبعة ومراجعها لا يمكن الاعتماد عليهما إلا في الأخطاء البسيطة ، وليس من واجب عامل المطبعة أن يعرف بأن الصاد العربية رمزها (S) بالحرف الكبير ... إلخ .

ومثل ذلك أيضاً كلمة (تميس) ، هل انتقلت إلى الانجلى مع الهجرات الأولى القديمة ؟ ، أو انتقلت مع البحارة الإنجليز الذين لا شك أنهم وقفوا على مرافئ اليمن بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح ١٤٩٧ - ١٤٩٩ م ، ولا شك أنهم أكلوا خبز التميمس واستطابوه ؛ بل قد يعود ذلك إلى أيام الحروب الصليبية التي بدأت سنة ١٠٩٨ م . في كل المعاجم الموجودة لدي لم أجد مادة (ت م س) ولا مادة (ت م ن) ، ولكن هذا لا يكفي للدلالة على أن الكلمة غير عربية ؛ لأن اللغويين القدماء لم يدونوا كل المادة اللغوية الجارية على السنة العرب ؛ بل اقتصرنا على ما عنوه فصيحاً ، وهو عندهم ما يتعلق بلهجة قريش والقرآن الكريم والشعر العربي وأعرضوا عن كل ما عنوه لغية أو لغيات . هذه اللغات إذا لم يكن لها شأن في دراسة القرآن الكريم والشعر العربي ، فإن لها شأناً أي شأن في دراسة كالدراصة التي عالجتها السيدة تحية عبدالعزيز . أضرب على ذلك مثلاً واحداً :

(بس) اسم فعل بمعنى كفى أو يكفي جار على السنة الناس من المحيط إلى الخليج ، وفي الحضر والبادية على حد سواء ، ولكنك مع ذلك لا تجد له ذكراً في أي كتاب من كتب اللغة أو النحو ؛ لأنهم في أغلب الظن عنوه غير فصيح . ولكن هذا الموضوع ليس مكانه في هذا السياق . وإذا كان لنا أن نقول شيئاً فهو إن هذه الدراسة تحتاج متابعتها إلى جمع التراث اللغوي لكل القبائل العربية ؛ لأن كل جذر لغوي مهم في هذه الدراسة ، حتى ولو عدّه علماءنا الأجلاء غير فصيح .

ولست أشك أن هذا المعنى قائم عند المؤلف ، وهو ما جعلها تسمى كتابها Classic Arabic ، وكان بوسعها أن تسميه العربية الفصحى ، التي أطالت في وصف فضائلها في الفصل الأول من كتابها ، ولكنها لم تتحرج - وهي على حق - من استعمال جذور لغوية عامية أو لم ترد في المعاجم .

(ص ١٨٩).

وهكذا تتابع المؤلف حتى تذكر بدائل الأصوات كلها ، ولكنها لم تذكر لنا هل نظرية البدائل من عندها أو أخذتها عن علماء آخرين ؟ ؛ ولم تذكر لنا مقدار إضافتها على البحث إن وجدت ، ولم تذكر لنا : هل هذه البدائل درست على الألفاظ التي نقلت إلى اللغات الأوربية في عصر الترجمة ، أو على الألفاظ التي انتقلت في العصور السابقة ؟

بحث البدائل بالذات من الأبحاث التي قد تجعل قارئاً يستعجل ويتهم المؤلف بالتعسف ، وأنا أنصح القارئ بالتأني . عندما تقول المؤلف مثلاً إن الياء قد تتحول إلى (g) ، عندما يعلم القارئ أن هناك قبائل عربية عديدة لا تزال تعيش حتى اليوم ، وتبدل الجيم بياء وتقول عن الدجاج (دياي) ، وتقول عن الدجاجة (دياية) فإن القارئ سيفير رأيه .

ومثل ذلك أيضاً ما يحس به القارئ العجول عند الحديث عن نقل القاف إلى (g) ، القبائل العربية التي تنقل القاف إلى جيم لا تزال تعيش حتى اليوم في صعيد مصر ، وفي مناطق أخرى من العالم العربي . ومثل ذلك أيضاً عن نقل القاف إلى (c) ، وأهل قلبية ينطقون القاف كافاً حتى اليوم .

ومع ذلك فلا يستطيع القارئ إلا أن يحس بشيء من الارتباك والحيرة عندما يقف أمام كلمة مثل رغيف = loaf ، وكلمة خبز = bread ، ولكن البت في مثل هذه الأمور يبقى للعلماء المتخصصين ، وليس للقارئ العادي .

ولا بد أن نذكر هنا بأن المؤلف خصصت فصلاً آخر لدراسة البدائل المفضلة ، كما خصصت فصلاً آخر لدراسة البدائل الصوئية أو بدائل الرنين . ولا فائدة من تلخيص ما جاءت به ؛ لأنه لا يعني إلا الباحث المتخصص .

ومما يتعب القارئ أيضاً أن المؤلف لم تلتزم بنظام ثابت لرسم الحركات العربية ، ونتمنى أن تفعل ذلك في الطباعات المقبلة .

في مثل هذا الكتاب ليس لنا أن نلوم المطبعة والطابعين ، ونلقي بأخطائنا على أكتافهم .

١٧ - البدائل

خصصت المؤلف الفصل الثامن للحديث عن البدائل

الطبيعية .

الحروف المفقودة من اللاتينية والانجلي هي : خ / ز /

ص / ض / ط / ظ / ع / غ / ق / .

وهناك أصوات أخرى مفقودة في اللاتينية ، ولكنها موجودة في الانجلي وهي : ش / ث / ح / ذ / .

وبكلمات أخرى أن الانجلي فيها تسعة أصوات مفقودة،

أما اللاتينية فقد ضاع منها ثلاثة عشر صوتاً . (ص ٤٨) .

درست المؤلف النتائج المترتبة على فقدان هذه

السواكن من كل لغة ، كما درست الوسائل التي اتبعتها كل

لغة لتعويض هذا النقص . فالعين مثلاً تستبدل في اللاتينية

والانجلي بمجموعة من الأصوات ، وليس بصوت واحد : a ,

b , d , h , t , g , n , c كما تستبدل أيضاً بحركة ،

وذلك يعتمد على الكلمة التي تقع فيها وصيغة الكلمة ، بقدر

ما يعتمد أيضاً على الأصوات المجاورة لها . (ص ١٨٧) .

والقاف أقرب بدائلها : g , c ، وفي الانجلي بعض

بدائلها : d - h - c - g وتقول الكاتبة أن / c /

تستعمل كثيراً في اللاتينية ، ولها وضعية ممتازة في

الانجلي ؛ لا لأنها تحل محل القاف فحسب ؛ بل لأنها تعدّ

صيغة تغطية لعدد من الأصوات المفقودة في اللغة ومنها : ق

/ هـ / ح / خ / ع / ، وفي الانجلي تأخذ مكان : / ق /

خ / ع / ، وفي حالات قليلة تأخذ مكان / هـ / ح / .

١٨ - الرمزية الصوتية

الرمزية الصوتية هاجس المؤلف ، لقد استعملت هذا الاصطلاح أكثر من ثلاث مئة مرة ، وخصصت لدراسته الفصل العشرين في خمسة وعشرين صفحة ، ويخيل لقارئ هذا الكتاب أن الرمزية الصوتية لا تقل أهمية عند المؤلف عن بحثها الأصلي .

لكل لغة كما تقول المؤلف خمسة مستويات :

- (١) مستوى الصوت Phonological level
- (٢) مستوى البنية أو الكلمة Morphological level
- (٣) مستوى المعنى أو المضمون Semantic level
- (٤) مستوى التركيب أو النحو Syntactic level
- (٥) مستوى الرمزية الصوتية Sound Symbolism

في نظام الرمزية الصوتية كل حرف له دلالاته ومعانيه ، حسب موقعه في الكلمة ، وحسب الحركة التي يحملها ، والوزن الصرفي الذي ينتمي إليه ، وأن تبديل مكان أي حرف أو أية حركة يغير المضمون التطوري للكلمة . الجملة نفسها كما تقول المؤلف لها ترتيب خاص يتناسب مع الرمزية الصوتية .

الباء - كما تقول - الصوت الأول في الأبجدية بعد الحروف الصوتية والحركات ، وهو صوت وقف شفوي يستعمل العضو الأول للكلام : الشفتين ، الشفتان مغلقتان ثم تفتحان بعد إغلاق ، فالباء تمثل البداية ، البدء ، الإدخال ، أو الأوليات ، والابتكار . (ص ٤٨) .

ثم ضربت أمثلة منها :

- بدأ يقابلها في الانجلق : biginnan .
- بسج (بمعنى انفجر burst) يقابلها في الانجلق : berstan .
- بدع بمعنى اخترع أو صنع الجمال ، يقابلها في اللاتينية : bellus .

وقالت عن حرف النون إنه رمز النفي والمعارضة ،

وضربت على ذلك أمثلة منها : نهى ، نفى ، نهر ، ... إلخ (ص ٢٥٠) .

ثم تابعت ذلك مع بقية أصوات اللغة ، ولم يزد ما قدمته على مثل هذه العموميات ؛ بل إنها اعترفت في أحد المواضع بأن ما قدمته ليس إلا هيكلًا عامًا لا تتسع هذه الدراسة لأكثر منه . ولذلك سارعت إلى كتابها العربي (التفسير العلمي لحروف أوائل السور في القرآن الكريم) ؛ لأنني قدرت بأنني سأجد هناك عن الرمزية الصوتية أكثر مما وجدته هنا ، وبخاصة أنها قدمت له بعنوانها (التفسير العلمي) ؛ ولأن دراسات القرآن الكريم تقتضي رصانة ودقة علمية تتناسب مع مقام القرآن الكريم عند المسلمين . وإذا بي أفاجا أن ما خصصته المؤلف للرمزية الصوتية يبلغ ستاً وعشرين صفحة ، حجم الصفحة أصغر من حجم صفحة الكتاب الإنجليزية ، وعدد أسطرها وكلماتها أقل بما لا يقاس ، وخصصت هذه الصفحات لتلخيص كتابها الإنجليزي كله وليس الرمزية الصوتية وحدها ، بما في ذلك ما كتبه عن المصرية القديمة والأوزان وغيرها ، وثلاث المساحة على الأقل إن لم يكن نصفها لجداول المقارنة بين المفردات في اللغات المختلفة ، وقد ذكرت فيه أيضاً أن ما جاءت به ليس إلا موجزاً أو هيكلًا عامًا - المؤلف مغرمة جداً باستعمال هذا الاصطلاح - ومع ذلك فقد كان هذا الموجز أو الهيكل العام كافياً . لأن تؤولف عليه كتابها عن تفسير حروف أوائل السور في القرآن الكريم .

إن تفسير حروف أوائل السور في القرآن الكريم لم ترد فيه نصوص قطعية ، ولذلك سمح فيه بالتفسير بالرأي ، ولكن تفسير القرآن الكريم نفسه بالرمزية الصوتية يساوي التفسير بالرأي الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» . ذلك أن الرمزية الصوتية نفسها لم تصبح علماً يقينياً بعد ، كما سنبين بعد قليل . إن المؤلف لم تخرع الرمزية الصوتية ؛ بل قال بها اللغويون العرب من

الحركة . إن الميم لم تمنع الملاك جبريل عليه السلام من قطع المسافة بين السماء السابعة والأرض أربع مرات في جزء من ليلة الإسراء والمعراج !!!!

ويجب ألا ننسى أبداً ، أننا لا نستطيع أن نتخلى تخلياً مطلقاً عن معارفنا السابقة ومسلّماتنا المعهودة ونحن نناقش احتمالات معنى حرف في كلمة . ولا بد أن تؤثر هذه المسلّمات في نتائج دراستنا بمقدار يزيد أو ينقص وفقاً لمقدرة الباحث على التجرد عن نفسه ومسلّماته السابقة ، وهي مقدرة تزيد وتنقص من إنسان إلى آخر ، وهذا من طبيعة البشر ، ومما لا حيلة للإنسان فيه ، ولذلك يستحسن أن تكون هذه الدراسات على يد فريق ، وليس على يد فرد واحد .

لقد ابتسمت وأنا أتابع المؤلفة (ص ٢٤٢) وهي تناقش : عالم ، عليم ، علام ، علامة ، ولا يهمني أنها استعملت (عالم) بمعنى طالب العلم (scholar) ، وهذا الاستعمال غير وارد في العربية ، وهي منساقاة في شرح معاني الكسرة التي تصل الداخلي بالخارجي بالفعل الانعكاسي ، والسابقة (in) - أين السابقة (in) في الأمثلة السابقة ؟ ، لا بد أنها غلطة مطبعية جديدة صوابها الحشوة (y) - التي تعطي الفعل الانعكاسي في داخل الذات ، حتى وصلت إلى قولها إن هذه الصيغة تحدد أو تشير إلى الفعل الداخلي ، الفعل المؤثر ، الملون للكائن كله ... إلخ .

إن المؤلفة تسير وراء مسلّماتها السابقة عن معاني كلمة عليم ، وأنا أسألها أين الداخلي والخارجي والانعكاسي في (غسيل) ؟؟؟

أنا لا أندد ولا أبحث عن المثالب ، ولكني أقول إن الرمزية الصوتية فرضية لها مؤيدات ، ولكنها لم تتحول إلى نظرية وعلم ، وحتى ذلك الوقت لا يجوز أن نعطيها أكثر مما تستحق .

أيام ابن جنّي ، وما ذكره عنها كان بالمقارنة إلى زمانهم يعدّ أمراً عظيماً ، ولكنه لم يزد على أن يكون عموميات يغلب عليها طابع الاحتمال . ومع الأسف أن اللغويين المحدثين لم يتابعوا هذا الموضوع المهم ، على الرغم من الوسائل الحديثة التي تساعد على إتمام الدراسة وتسهيلها ، وبخاصة بعد اختراع الحاسوب . وأنا أسأل المؤلفة بكل صدق وبراعة : أين الدراسات العلمية التي حولت الرمزية الصوتية من فرضية تبحث عن مزيد من البراهين إلى نظرية علمية يفسر بها القرآن الكريم ؟ ، إن الرمزية الصوتية لم تصبح نظرية ، وإن أصبح كذلك ، إلا بعد دراسة علمية إحصائية جديدة ، تدرس كل حرف في مواقعه الثلاثة ، وتدرس حركته ، وتقارن ذلك بالحروف التي تسبقه أو تليه . لن تصبح الرمزية الصوتية علماً يعتد به إلا بعد إنجاز هذه الدراسة ، ونضع كلمة عربية مثل (كبر) مثلاً أمام شخص غير عربي بل لا يعرف العربية ، ونعطيه احتمالات كل حرف حسب موقعه وحسب حركته وحسب جاره ، ثم يضع لنا هذا الشخص احتمالات المعنى الذي يقدره للكلمة ثم تكون هذه التقديرات قريبة من الحقيقة . عند ذلك فقط تكون الرمزية الصوتية قد تحولت إلى علم . وحتى ذلك الوقت تبقى الرمزية الصوتية احتمالات فيها من الصحة والثبات ، بقدر ما فيها من القلق وعدم الاستقرار ، إلا إذا كانت توجد دراسات جديدة لم نسمع بها ، ولم تذكرها المؤلفة .

حرف الميم كما تقول المؤلفة في الصفحة (٢١) من كتابها العربي المذكور : «يدل على الثبات وعدم الحركة ، كما يدل على إتمام قفل ، أو اكتمال شيء بضم الشفاه ، وإذا جاء في أول الفعل دل على ثبات أو عائق حسب ما يليه» .

هنا نفسر بهذين السطرين عمل الميم باللغة العربية كلها ؟؟ ، وإذا كانت الميم تدل على الثبات وعدم الحركة فكيف نعلل وجودها في كلمات مثل : الغنم ، ملاك ، غمام ، وفي كلمة سمك وهو من أكثر المخلوقات استمراراً في

١٩ - بين الخاص والعام والجزء والكل

نعود إلى ما قالته المؤلفة عن الكسرة والمد في عليم وقدير : «إننا عندما نذكر أسماء الله الحسنى لا نقول عالم بل عليم ، ولا نقول قادر بل قدير» (التفسير العلمي ص ١٠ سطر ٢) .

هل تتكلم المؤلفة عن الكسر والمد في كلمتي عليم وقدير وحدهما ؟ ، إذن تحليلها حالة خاصة فريدة ، ولا قيمة له ، ومئات الكلمات على وزن فاعيل تحتاج كل واحدة منها إلى تحليل خاص .

هل تتكلم المؤلفة عن قاعدة ؟ إن لفظ عالم جاء في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة في وصف الحق عز وجل ، ولفظ قادر جاء في القرآن الكريم سبع مرات وصفاً للحق عز وجل .. فكيف تطلب منا المؤلفة ألا نستعمل عالم وقادر في وصف الحق سبحانه ؟؟ .

وفي أسماء الله الحسنى جاء وزن (فاعل) اثنين وعشرين مرة ، وجاء وزن فاعيل ثلاثاً وعشرين مرة ، الوزنان متساويان في العدد تقريباً ، فكيف ولماذا أترك وزن فاعل لحساب وزن فاعيل ؟ (لم تذكر هي لفظة الوزن) .

«حرف الميم يدل على الثبات والاستقرار كما يدل على تمام الفعل... إلخ .» .

إن حرف الميم لم يمنع الملاك جبريل عليه السلام من قطع المسافة بين السماوات السبع وبين الأرض أربع مرات في جزء من ليلة واحدة هي ليلة الإسراء والمعراج ؟!

النون رمز النفي ، أين النفي في بنت وبنات ، وأين النفي والمعارضة في (نَعِم) ؟

هل ما ذكرته المؤلفة خطأ ؟ ؛ كلا إنه ليس خطأ ، ولكنه ليس الحقيقة كلها . إنه جزء من الحقيقة . أين الخطأ إذن ؟ الخطأ في التعميم . ماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أقول إن جرأة مؤلفتنا على التقيد والتعميم مرعبة إلى درجة تهدد القيمة العلمية لمادة بحثها كله . كل

تعقيب لا بد منه

المؤلفة في كتابها العربي (التفسير العلمي ص ٤٨) أسقطت - وهي تدري أو لا تدري !! - كل ما قالته عن فقدان الرمزية الصوتية في كل اللغات غير العربية ، وذلك في تفسير قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) ، وقالت في تفسيرها للأسماء إنها الرمزية الصوتية ، إنها منحة إلهية منحها الله عز وجل لآدم عليه السلام ، ومنها صنع الإنسان لفته . وليست هذه الدراسة مجالاً للرد على تفسير المؤلفة ، ولكن يهمننا أن نقرر بأنها تؤمن بلغة أصلها إلهي وتطوري معاً ، وإذا أخذنا بكلامها إن الرمزية الصوتية منحة إلهية لآدم عليه السلام ، فإن هذه المنحة يجب أن تنتقل إلى أولاده جميعاً ، كما انتقلت إليهم بقية المنح الإلهية التي زود بها عند نزوله إلى الأرض لكي يتمكن من العيش على ظهرها ، ولا يمكن أن تقتصر هذه المنحة على بعض أولاده دون البعض الآخر ، إلا إذا افترضنا بأن آدم عليه السلام يفرق بين أولاده في المعاملة ، وهذا كلام لا يجوز أن نقوله حتى في المداعبة والمزاح ؛ لأن آدم عليه السلام نبي ولا يجوز في حقه إلا ما يجب للأنبياء من صفات الكمال . وليس للمؤلفة إلا أن تختار طريقاً من ثلاثة : إما أن تعترف لكل أمم الأرض بحقها من الرمزية الصوتية ، وحصتها فيها !! ، وإما أن تتهم آدم عليه السلام بالمحاباة والتفريق بين أولاده ، والمؤلفة مسلمة تقية تعرف عقوبة وعاقبة قذف الأنبياء !! ، وإما أن تتراجع عن تفسيرها لهذه الآية وتبحث لنفسها عن تفسير آخر !!

السيدة تنسى ما قالت أو تظن بأن الناس ينسون ، ففي الصفحة التالية بالضبط قالت : «ومن يبحث في اللغات القديمة يجد أن هذه القدرة لم تقتصر على آدم وحده بل على جميع بني آدم ، فكل البشر على اختلاف ألسنتهم عندهم هذه المهبة» . إذن الرمزية الصوتية لم تفقد من بقية اللغات كما تدعي المؤلفة في عشرات المواضع من كتابيها ، وبقي لسائل أن يسأل : أين الرأي النهائي للمؤلفة ؟

انفصلت عن العربية في عصور ما قبل التاريخ ، ولكنها لم تثبت أبداً أن اللغة العربية هي أصل الكلام في العالم ، وإن تستطيع أن تثبت ذلك إلا بعد عشرات الدراسات على عشرات اللغات .
وفي هذا القدر بلاغ .

٢٠ - الأوزان

أنقل المثال التالي من رأس الصفحة ١٤٨/ : ٥/١١ :
الوزن : CVCV : C

هذا الوزن يخص أسماء الحيوانات المذكرة ، وهو أقرب إلى الوزن السابق ما عدا المد الطويل في النهاية ، فإنه خضع للإبدال في كل من اللاتينية والانجلى ، ولكن المرء يستطيع أن يخمن أنه كان هو نفسه في يوم من الأيام وأن الحركات التي تغيرت هي جزء من الاتجاه العام نحو اختصار الحركات :

11.5 CVCV : C :

The next pat belongs to the masc and animate , it is rather close to the previous one except for the final long V1. It has undergone changes in both L and OE but one can perceive that at one time it was the same , and that these V1 changes are part of the general reduction of V1 which we have observed earlier .

Mod Eng	L or OE	CA	RV in CA
eagle	eagle	[æqab]	[æqabac] to pursue, to race
fellow	fēlaga	[faelae:]	[faelae:] to till the soil
slave	famul-us	[hamae:]	[hamae:] to carry, to bear
vapour	vapour	[buxar]	[baxara] to steam or produce vapour

(١) المؤلف تضع صيغة أوزانها بطريقة ساكن ثم حركة ، وهي طريقة اتبعها بعض العروضيين المحدثين (فعلون = ٥/٥//) ، وإذا كان لهذه الطريقة معناها في العروض فإنها لا معنى لها في الأوزان الصرفية العربية ؛ لأن الكلمة العربية توزن بحروف كلمة (فعل) وحركاتها ، وحروف الزيادة عليها ، مع مراعاة حركات الحروف الزائدة أيضاً . وكل حرف في الميزان الصرفي له حركته وله ما يقابل ذلك في أصل الكلمة : مَقْدَام : مَفْعَال .

بحثها عن الرمزية الصوتية كان عموميات لم ترد فيها إلا معلومة موضوعية واحدة ، قالت (ص ٢٥٣) : « إن ٥٠٪ من الأفعال التي تبدأ بحرف الخاء - الرقم الإحصائي على عهدها - له مضمون رفضي ، مقابل ١٢٪ للأفعال التي تبدأ بحرف الجيم ، و ٨٪ للأفعال التي تبدأ بحرف الحاء . » هذه الظاهرة الموضوعية لم تتكرر في صوت آخر في الرمزية الصوتية .

قالت في الصفحة (١٤٠) : « بعض الكلمات خضعت لإبدال بإرجاع الباء إلى موقع ابتدائي ، وبعضها خضع للإبدال والحذف ، وكان من نتيجة ذلك أن كثيراً من الكلمات تبدو مختلفة في اللاتينية والانجلى :

العربية	اللاتينية	الانجلى	الانجلى
خبز	cibus	bread	bread
رعب	terro	broga	terror

إذا كان ما ذكرته المؤلف صحيحاً ومضطرباً ، فهل يكفي مثالان لتقرير قاعدة ؟؟؟ .

إن أمثال هذه القضايا تتكرر عشرات المرات ، وسنعرض لأمثلة أخرى في باب الملاحظات العامة ، وإذا لم يكن لدى المؤلف أمثلة أخرى ادخرتها حرصاً على حجم الكتاب ، حتى يبقى سعره اقتصادياً ، - لم تشر إلى هذا الموضوع مرة واحدة - فإن القيمة العلمية لدراساتها كلها ستكون موضع تساؤل بل تساؤلات لا يخفى مضمونها على لبيب .

ولا يحسب أحد بأننا نتحامل على المؤلف أو نكيل لها الاتهام جزافاً . إن أكبر دليل على جراتها على التعميم العنوان الذي وضعته على غلاف كتابها : « وأصل الكلام » .

لوسلم الباحثون والدارسون للمؤلفة بصحة كل ما جاء في كتابها من غير أن ينكروا عليها حرفاً واحداً ، فإن خلاصة ما جاء في كتابها إن اللغة المصرية القديمة واللاتينية والإنجليزية القديمة هي لغات عربية الأصل ،

موازن الخواجات : لأن موازينهم اللغوية معنا - على ما يبدو - لا تقل انحرافاً وإجحافاً عن موازينهم السياسية !!! (٤) وهذا هو الأهم : سواء أكانت هذه الطريقة منقولة عن علماء الخواجات أم من ابتكار المؤلف ، فإنها تهدم كل ما قالته عن الرمزية الصوتية في معاني الأصوات وحركاتها وموازنها .

إذا كانت صيغتا عقاب وفالح لهما وزن واحد - هناك عشرات الأمثلة الأخرى - فإن اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثي (مُقَدِّم - مُقَدَّم) لهما وزن واحد ، فإن كل ما قالته عن الرمزية الصوتية ساقط ولا قيمة له . لقد اكتفينا من الأوزان الكثيرة التي ذكرتها المؤلف بهذا الوزن ، ولكنها كلها لا تخرج عما ذكرناه ، ومن أراد المزيد فعليه بالعودة إلى الكتاب .

ووزن الكلمة العربية بهذا الأسلوب غير صحيح عند العرب ، وغير مفن للأجانب ؛ لأنه يعطيهم عن الكلمة صورة مضللة غير صورتها عند أصحابها .

(٢) أي وزن يجمع بين صيغتي عقاب وفالح ؟ ؛ لو تغيرت حركة واحدة في الميزان الصرفي لتغير الوزن والمعنى في العربية : عَقَاب = فُعَال = طائر

عَقَاب = فِعَال = مصدر فعل عاقب

(٣) لم تقل لنا المؤلف هل هذه الطريقة من ابتكارها أو منقولة عن علماء الخواجات ؟ إذا كانت هذه الطريقة منقولة عن علماء الخواجات ، كان يجب على المؤلف أن تزن بالقسطاس المستقيم الذي وزن به مشايخنا ، رحمهم الله ، وهو الميزان الذي لا ينسى حرفاً ، ولا يغير حركة ؛ بل يضع كل شيء في مكانه مهما كان صغيراً دقيقاً ، وتدع عنها

Classic Arabic

as

The Ancestor of Indo-European Languages

and

Origin of Speech

T. A. Ismail

اللغة العربية الفصحى

جدة اللغات الهندية الأوروبية وأصل الكلام

تأليف : تحية عبدالمعيز إسماعيل

عرض ودراسة : يحيى الكيلاني

(القسم الثاني)

Ismail , T.A / Classic Arabic as The Ancestor of Indo - European Languages and Origin of Speech . - Cairo : AL Ahram Press , 1989 .

٢٢ - الوجه الآخر للحقيقة

- * اللغات المهاجرة فقدت الرمزية الصوتية .
- * اللاتينية المهاجرة فقدت ثلاثة عشر ساكنًا .
- * الانجلى المهاجرة فقدت تسعة سواكن .
- * المصرية القديمة فقدت بضعة عشر ساكنًا .
- * اللغات المهاجرة فقدت الأوزان .

عشرات الحقائق المختلفة ساقتها لنا المؤلفة من غير

أدنى وقفة للتفسير أو التعليل .

لماذا يهجر الابن الآلة التي استعملها أبوه سواء

أكانت هذه الآلة مادية أم معنوية ؟

إذا نسي الولد كلمة يعرفها أبوه أو جدّه فلماذا ينسى

حرفًا استعمله كل منهما ؟

هذه أسئلة لا يمكن المرور بها مرور الكرام في دراسة

كالتى بدأتها المؤلفة ، ولكنها فعلت ذلك من غير أدنى نظرة

في التحليل أو التعليل .

إن التسليم بهذه الحقائق يقتضى منا الاعتراف بأن

اللغة العربية كانت قبل خمسة عشر ألف سنة على الأقل

لغة كاملة الأصوات والمخارج والحركات والأوزان والرموز ،

٢١ - «أوصاني خليلي : قل الحق ولو كان مرًا» أبو ذر الغفاري

الكاتبة تمتلك آلة لغوية أجنبية راقية جدًا ، ويخيل إلي

بعد أن قرأت لها باللغتين أن الكتابة بالإنجليزية أسهل

عليها من الكتابة بالعربية . وتتمتع المؤلفة أيضًا بحس

لغوي رهيف نادر يسمح لها باكتشاف العلاقات بين

الكلمات المختلفة بسهولة ويسر ، والحق أن المناقشات

اللغوية والصرفية والنحوية التي جاءت بها تدل على أن

بضاعته من هذا العلم ليست كبيرة ، وهذا لا يعيبها

مطلقًا . كل أفراد جيلنا يعرفون الكاتب العربي الكبير

الذي كان يعرض مقالاته وكتبه على صديق له أزهرى ،

قبل أن يطبعها ويخرجها للناس . إن ذلك لم ينقص من

قيمة أدبه ، ولا من مكانته بين الناس . ومات الأديب الكبير

وربما مات صديقه أيضًا ، ولم يعرف اسمه معظم قراء

هذا الأديب الكبير . إن الاستعانة بمختصين ليس ضعفًا

بل هو قوة .

* إلى القارئ الكريم : استعملت هذين الاختزالين لكثرة تكرارهما في هذه الدراسة : الإنجليزية القديمة : الانجلى : الإنجليزية الحديثة : الإنجلىح .

(راجع ص ١٤) ، لو أنصف القارئ لوجد أنه تعسف لا يستطيع إلا أن يحترمه حتى ولو اختلف معه ؛ لأنه يقدم لك الدليل الذي إذا لم يستطع أن يبرهن لك أنه مقنع ، فإنك لا تستطيع أن تقيم الدليل على أنه غير مقنع أو غير صحيح ! ولا تنس أن الحديث يدور عن أمر حصل قبل سبعة آلاف سنة أو عشرة آلاف ، ولا شك أن التطورات التي أصابت الكلمات ليست هينة . إن الاقتراب من الحقيقة أو مجرد تخمينها يعد في مثل هذه الحالة عملاً عظيماً ، ولا يطمع الباحث في تطابقات كما يتطابق مثلثان في الهندسة.

قالت المؤلفة في الصفحة (٢٨٩) في الملحق العربي من كتابها إن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية و ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي . ولو أخذت المؤلفة ٤٠٪ لكان ذلك كافياً .

المطلوب أن نقيم دليلاً علمياً على الصلة القديمة بين هذه اللغات ، وأن ثلاثين أو أربعين بالمئة كافٍ لإقامة هذا الدليل ، ونترك الكلمات الصعبة التي أصابها تبديل عظيم لتكون موضع نقاش بين العلماء في مجالسهم الخاصة . أهدف من وراء ذلك إلى توسيع قطاع القراء الذين يخاطبهم الكتاب . الكتاب مخصص لمخاطبة العقل الغربي ، هذا صحيح ، ولكن هذا لا يمنع أن يقرأ في الشرق ؛ بل إنه طبع في مصر ، ووزع في مصر ، أي طبع ووزع بين الذين لم يكتب لمخاطبتهم . ولكن الأهم من ذلك أنه حتى في العالم الغربي فإن المختصين باللاتينية والانجليز قلة ، والمختصين بالدراسات اللغوية المقارنة أكثر قلة ، أي أن الكتاب في النهاية لن يخاطب إلا بضع عشرة مئة من الرجال أو بضعا وعشرين ، ومن الظلم الفادح أن تقتصر هذه الدراسة المجددة على هذا العدد القليل من القراء .

لقد أثبتت الكاتبة في أكثر من موضع من كتابها أنها قادرة على نقل الأفكار العلمية الجافة بأسلوب رائع ومشوق ، يرضي العالم ويشد القارئ العادي ، راجع ما كتبتة عن أنواع الحياة المختلفة ، وما كتبتة عن «اللجة للرجال» ، وما كتبتة عن تتبع كلمة عربية يحتمل أنها انتقلت إلى الانجليز ، وما كتبتة عن الحياة البحرية للقبائل الهندية والأوربية ، وما كتبتة عن الجهات الأربع ، وما كتبتة عن اللغة المصرية القديمة ... إلخ ، لو حافظت المؤلفة على هذا الأسلوب لجاءت بأمتع دراسة لغوية مقارنة يمكن أن

وهذا أمر إذا لم يرفضه العقل حمية وتعصباً ، فإننا لا نملك دليلاً واحداً على صحته مهما كان صغيراً .

إذا عدنا إلى الحقائق التي ذكرتها المؤلفة وحولناها إلى أسئلة ، فإننا لن نجد جواباً شافياً ؛ بل إن التسليم بما جاء فيها يقتضي منا افتراض حدوث كوارث اجتماعية واقتصادية ولغوية لا يتسع لها عقل بشر ، ولا يوجد دليل عقلي واحد يؤيدها ، إن القنبلة الذرية لم تجعل أهل هيروشيفا ينسون حرفاً واحداً من حروف أبجديتهم !!

وإذا افترضنا أن ذلك كان بسبب احتكاك القبائل المهاجرة مع شعوب أخرى ، كانت لغتها أقوى من لغة هذه القبائل وأرغمتها على هذا الفقدان ، فستفقد فرضية المؤلفة قيمتها التي جاءت هذه الدراسة للبرهان عليها : وهي أن اللغة العربية أصل الكلام . ثم إن هذا الافتراض يمكن أن يرد عليه بطريقة أخرى ، المنتصر عسكرياً وحضارياً هو الذي تنتصر لغته .

أين يحتمل أن يكون الخطأ إذن ؟

لم يبق إلا أن يكون الخطأ في فرضية المؤلفة نفسها ، هل يعقل أن تكون اللغة العربية بهذا النضج المدهش في تلك المرحلة الموهلة في القدم من عصور ما قبل التاريخ ؟ والآن سنعيد طرح المشكلة على شكل سؤال : هل ما ذكرته المؤلفة هي حالة خسارة وفقدان أو حالة هجرة في مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟

كل قوم حملوا معهم من اللغة بمقدار ما كان موجوداً وقت هجرتهم ، وهذا المقدار نفسه الذي حملوه معهم خضع للتغيير والتبديل بسبب تغير البيئة والمناخ والظروف الاقتصادية ... إلخ .

هذا الافتراض يعلل لنا سبب تغير مقدار الخسارات بين لغة وأخرى .

لست أدعي بأنني طرحت حلاً ، ولكني أطرح سؤالاً جوابه عند المختصين ، وهو سؤال يجعل فرضية المؤلفة أقرب للتطبيق والتعليل .

٢٣ - إجماعات

المؤلفة بذلت جهداً كبيراً مضمناً في تتبع أصول الكلمات والأسماء والأفعال وتغيراتها ، وإذا أحس القارئ أحياناً بشيء من التعسف في التعليل ، كالدورة التي أخذتها مثلاً كلمة grand father عن كلمة جد العربية

ولكن المؤلفه كثيرًا ما عمدت إلى الاختزال في غير قائمة المصطلحات ، بدون إشارة ، وبدون أن تكون الكلمة مذكورة سابقًا في النص . وإذا كانت بعض هذه الاختزالات يمكن تتبعها بسهولة من سياق النص ، كما في الصفحة ٨٨ مثلاً ، إذ وضعت def art ، وهي تعني definite article ، فإنها استعملته أحياناً أخرى بحيث لا يمكن للقارئ أن يحدد المعنى الذي تريده إلا بصعوبة ، وأحياناً بصعوبة بالغة .

(٣) في الصفحة ٨٨ نفسها ، قارنت المؤلفه بين تركيب جملة في اللاتينية والإنجليزية الحديثة والعربية والإنجليزية القديمة : Laen ya-Siyh a-diyc al- yawm

أ - العربية : لن يصيح الديك اليوم .

ب - اللاتينية : Non contabit hodie gallus

ج - الانجلي : Ne craewwp the hana to-dag

د - الانجلي : the rooster will not crow today

وقالت إن تركيب الجملة هو نفسه في العربية والإنجليزية القديمة (الانجلي) ، ما عدا أن العربية عرفت الظرف (اليوم) بأداة التعريف ، بينما اكتفت الانجلي بوضع الأداة To قبله ، وقالت إن تركيب الجملة كما يلي : neg + V + NP + NP as adv إن الاختزالات في هذا المقطع من النوع الذي يسهل على القارئ متابعته ، واختزالها NP يعني noun propre ، أي اسم علم أو اسم معرفة ، والمقصود به هنا المعرفة . إن القضية ليست في هذا ، ولكن في طريقة تحليلها للجملة : نفي + فعل + اسم معرف + ظرف معرف .

إن تحليل تركيب الجملة السابقة يجب أن يكون كما يلي : نفي + الفعل + الفاعل معرفا + الظرف معرفا .

(٤) في الصفحة ٨٨ ، وفي المثال السابق بالذات :

أ - كتبت (لن) كما يلي : laen

ب - كتبت يصيح كما يلي : ya-Siyh

ج - كتبت (لم) كما يلي : lam

إن مقدار الفتحة هنا متساو في الكلمات الثلاث ، وبخاصة في (لم ، لن) ، ومع ذلك فقد رسمت الفتحة بطريقتين مختلفتين ، ثم عادت المؤلفه في الصفحة ٨٧ السطر ٢١ ورسمت (لم) بهذه الصورة (laem) .

تقع عليها عين قارئ عربي أو غربي .

لقد قلت رأيي ، ولكنني أحترم رأي المؤلفه وطريقتها ، وإنني ليحضرني بقايا ما أنكره من قول ابن رشيق القيرواني : ما فعلت أمراً ثم عدت إليه بعد مدة إلا قلت ، لو فعلت كذا لكان أحسن ، ولو بدلت كذا بكذا لكان يستحسن ، ويخيل إلي أن ذلك من طبيعة النقص الذي جبل عليه البشر .

٢٤ - ملاحظات عامة

إلى هنا نرى بأننا وفيينا الكتاب حقاً ، وصار بوسعنا أن نناقش المؤلفه في بعض الأخطاء والملاحظات التي وردت في كتابها ، ونقول سلفاً إن هذه الملاحظات هي على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر ، ونقول سلفاً أيضاً إن هذه الملاحظات هي بالدرجة الأولى على ما يتعلق باللغة العربية ، أما ما يتعلق باللغة الإنجليزية القديمة واللاتينية وبقية اللغات القديمة الأخرى فلا أملك المراجع ولا المقدرة العلمية التي تسمح باكتشاف ما فيها من أخطاء إن وجدت ولعله من الإنصاف أن نلفت انتباه القارئ إلى أن هذا الكتاب موجه أصلاً إلى القارئ الغربي ، ولذلك قد تجد فيه شروحات بسيطة لا يحتاج إليها القارئ العربي .

(١) الكتاب فيه قدر من الأخطاء المطبعية لا يسمح بمثله ولا بمقداره في كتاب علمي من هذا النوع . وسنشير إلى بعض هذه الأخطاء حيث تتعلق بموضوع المناقشة .

(٢) جرت العادة في المؤلفات الإنجليزية أن الكلمات والمصطلحات التي تتكرر كثيراً توضع لها في بداية الكتاب أو نهايته قائمة توضح اختزالات واختصارات هذه الكلمات وقد وضعت المؤلفه في بداية كتابها قائمة بثلاثين اختزالاً مثال : Old English اختزالها O.H ، وجرت العادة أيضاً أن يختزل الكاتب كلمة طويلة تتكرر أكثر من مرة في مقطع أو صفحة واحدة ، وليست واردة في قائمة الاختزالات مثلاً : كلمة demonstration يمكن اختزالها كما يلي dem* ، ولكن لا بد في هذه الحالة من شرطين :

الأول : أن تكون الكلمة مذكورة بكاملها في المقطع مرة واحدة على الأقل .

الثاني : أن توضع بعد الاختزال نقطة أو إشارة تنبه القارئ إليه .

لا تحدد مخاطباً معيناً ؛ بل تستعمل لكل حالات المخاطب.
ب - إذا اعتبرنا كلمة (affix) بمعنى لاحقة تصبح ترجمة الجملة كما يلي : «في الأمر المباشر تأتي اللاحقة قبل الفعل لتبين الجهة التي يتوجه لها مثل هذا الأمر» .

هذا الكلام غير صحيح عندنا في العربية ، واللاحقة النحوية التي تحدد الجهة التي يتوجه إليها الأمر هي عندنا ضمير متصل يأتي في آخر الفعل وليس قبله ؛ أذهب ، أذهبوا ، أذهبن ، وهذا الضمير لا غنى عنه في العربية إلا في حالة المخاطب المفرد المذكور .

ما زبدة هذا الكلام وما المخرج منه ؟ هل كلمة (قبل = before) هي غلطة مطبعية ؟
إذن سامح الله المؤلف على ما جشعته لقارئها من مشقة ، ثم إن هذا الاحتمال لا يمكن البت فيه قبل العودة إلى المؤلف نفسها .

(٧) الصفحة ٩١ سطر ٩ : المصروف يسرق

Al-misraf usraq

أ - نسيت المؤلف أن رمز الصاد هو (S) بالحرف الكبير .
ب - نسيت المؤلف أن رمز الياء هو (Y) .
هل هي غلطة مطبعية أو سهو من المؤلف . هذا مثال من عشرات ولن نعود إليه مرة أخرى .

(٨) الصفحة ٩١ سطر ١١ قالت المؤلف ما يلي :
the position of SV in CA is significant on the level of SS and contributes to the semantic content as in this example .
وترجمة ذلك أن «حالة الـ (SV) في العربية مهمة على مستوى الرمزية الصوتية وتتصل بالمضمون المعنوي كما في هذا المثال» .

إن اختزال (SV) لم يرد في قائمة اختزالات المؤلف ولم يسبق لها أن استعملت في هذه الفقرة من الفصل ولا في ما سبقها ، وسيفهم القارئ بعد تأمل طويل أو قصير أنها تعني به الجملة الفعلية ، وقد يكون له عندها دلالة أخرى غير ما قدرته . وإذا كان تفسيره صحيحاً فإن الاختزال يجب أن يكون (VS) ؛ لأن الصفة تأتي قبل الموصوف في الإنجليزية . إن راحة القارئ لم تكن أبداً موضع اهتمام في هذا الكتاب .

(٩) الصفحة ٩٠ - ٩١ : حديث المؤلف عن المبني للمجهول لا علاقة له بالسمات المشتركة بين اللغات التي

إن هذه الاختلافات تجعل القارئ يشعر بأن الكتاب لم يراجع جيداً ، وأن المؤلف ليست لديها خطة ثابتة لرسم الكلمات العربية بالرموز اللاتينية . سنكتفي بإيراد هذه الملاحظة التي تتكرر عشرات المرات ، ولن نعود إليها ، إلا إذا كانت توجد إضافات مهمة على الفكرة .

(٥) قالت المؤلف في ص ٨٨ (الفصل ٧ - فقرة ١٢) في سياق تحليلها لـ (ما) النافية : «إنها أقوى حروف النفي في العربية ، وفيها الميم أشد الحروف الخيشومية ثقلًا ، وفيها الألف أكثرها انخفاضًا ، وأقل الأصوات حركة ، وهي تستعمل للنفي البات القاطع ... إلخ» ؛ وأنا لا أعارض المؤلف فيما ذهبت إليه ، ولكن أذكرها بمعنى النفي القاطع الذي ذكرته عن (لن) في المثال الأسبق في الصفحة نفسها . كنا ونحن أطفال إذا قولنا بنفي قاطع يقولون لنا: نون ولم يقولوا لنا (ميم) ، أي أن النون مخصصة للرفض القاطع في إحدى اللهجات على الأقل . أنا لا أعارض المؤلف ، ولكني أذكر هذه القصة لتأييد رأيها في حمل الحروف المفردة لمعان معينة .

إذا أخذنا بهذا الاحتمال ، فإن حروف النفي في الإنجليزية القديمة (na-no-ne) ، ومركباتها لم تتعرض لتبديل خشن مع الميم في (ما) العربية ؛ بل هي متساوية تعاملاً مع إحدى اللهجات العربية على الأقل .

(٦) في الصفحة ٩٠ السطر السادس ، وفي سياق حديثها عن فعل الأمر العربي ، قالت : in direct commend the inflectional affix comes before the verb to show to whom such a command should go .

إن كلمة (affix) يمكن أن تعني «لاحقة» في آخر الكلمة ، ويمكن أن تعني «سابقة» في أول الكلمة (راجع أكسفورد والقاموس العصري) ، وقد كان جديراً بالمؤلف ، وهي الضليعة باللغة الإنجليزية أن تختار كلمة أخرى ليست من كلمات الأضداد التي تحتل وجهين ، ومع ذلك سنناقش معنى الجملة في الاحتمالين :

أ - إذا اعتبرنا كلمة (affix) بمعنى سابقة ، تصبح ترجمة الجملة كما يلي : في الأمر المباشر تأتي السابقة قبل الفعل ، لتبين الجهة التي يتوجه إليها الأمر .

في اللغة العربية ليس عندنا سابقة أمرية غير لام الأمر وهي تدخل على المضارع وتعطيه معنى الأمر ، وهي

وبين (nosco) فما الذي بقي مشتركاً بين الفعلين ؟ ، لم يبقى إلا النون التي تقدمت في اللاتينية على حد قولها وضعية متقدمة ، فهل يكفي ذلك للحكم على قرابة كلمتين ؟ إن محاولة الربط والتعليل تصل هنا إلى حد التمعك الذي يسيئ إلى البحث أكثر مما يخدمه . إن المؤلفه تتحدث عن أمر حصل قبل عشرة آلاف سنة أو تزيد ، وليس من الضروري أن نقيم الدليل على تواصل كل كلمة بين اللغتين . وبدلاً من أن نقيم الدليل على وجود سبع مئة مشترك مثلاً ، لتكن خمس مئة أو أقل ، فإن ذلك كافر علمياً على إقامة دليل الصلة بين اللغتين .

إن أمثال هذه التمعكات كثيرة في الكتاب إلى درجة تحتاج في رأينا إلى إعادة نظر إذا طبعت المؤلفه كتابها مرة أخرى .

(١٢) الصفحة ٩٧ سطر ١٧ : تحدثت المؤلفه عن زيادة (ا - س - ت) في بداية الفعل العربي والمعاني القوية المتعددة التي تضيفها هذه البادئة على الفعل العربي ضربت المؤلفه المثل التالي : (Safae - estafa) ، سنترك جانباً طريقة رسم الالف في آخر الفعلين وهما متساويتان صوتياً ! لأننا سبق وأشرنا إلى ذلك ، وسنترك أيضاً أنها نسيبت أو تناسبت أن رمز الصاد العربية هو (S) بالحرف الكبير وليس بالحرف الصغير ، ونقول لها إن كتابتها الفعل العربي بحروف لاتينية على هذه الصورة (estafa) قد غررت بها وجعلتها تظن أنه على (استفعل) ، وحقيقة وزنه هي (افتعل) ، والزيادة في اصطفى هي الالف والتاء ، (اصطفى) ، والزيادة هنا بحرفين وليست بثلاثة ، وحرفا الزيادة هما الالف والتاء ، التاء المزيدة قلبت إلى طاء وفقاً لقواعد الإبدال العربية . وإجماع النحويين العرب لا يترك مجالاً لأي عذر أو منفذ لاعتذار .

(١٣) الصفحة ٩٧ سطر ١٨ وفي آخر حديث المؤلفه عن وزن استفعل وأنه موجود في الإنجليزية القديمة (est-off) ، وفي الإنجليزية الحديثة (stuff) وفي الفرنسية (etoffe) لن نعيد الحديث عن وزن (افتعل) ، وأنه الوزن الحقيقي لـ (اصطفى) الذي تقول المؤلفه إن هذه الأفعال من أقربائه ، أو وزن (استفعل) الذي خصصت الفقرة (٢٢/٧) كلها للحديث عنه ، ولكننا نسأل : هل يكفي مثال واحد للدلالة على قيام مثل هذه القرابة بين أوزان الأفعال في العربية واللاتينية والانجليز والانجليز ؟

تقارنها المؤلفه مع بعضها ، ومثل ذلك في الكتاب كثير ، بحيث لو أخذت هذه الفكرة باهتمام ، لأمكن اختصار حجم مهم من الكتاب دون الإخلال بموضوعه الأصلي .

نحن نعلم أن الكتاب موجه أصلاً إلى القارئ الغربي وليس للقارئ العربي ، ولكن هذه الموجزات لا تفني المتخصص منهم ، ولا تهم غير المتخصص ، ما دامت لا تدخل في صلب المقارنة موضوع الكتاب . وسنجد هذه الفكرة على نطاق أوسع في باب الأوزان .

(١٠) الصفحة ٩٤ سطر ١ - ٢ جاء ما ترجمته : «وحتى قبل ذلك كانت توجد في اللاتينية صيغ أخرى فيها (C-N)» .

أحياناً يضيق ما نسميه عائد الضمير ، وبسبب طول الجملة أحياناً أخرى - هذه الثانية أخف من الأولى - ويقف القارئ حائراً :

(c) في قائمة الرموز العربية = ك

(n) في قائمة الرموز العربية = ن

بالإضافة إلى أن كل واحد منهما رمز لصوته المعروف في لغته . أي الرمزين تريده المؤلفه ؟

إن هذه القضية تتكرر عشرات المرات ، وهي من أشد ما يلاقيه قارئ هذا الكتاب من مشقة في عشرات المواضع ولقد كان مما يربح القارئ كثيراً أن تجعل الحروف اللاتينية الرامزة لحروف عربية بحرف طباعي يختلف عن الحرف اللاتيني ، والذي يمكن أن يبقى بحرف طباعة الكتاب .

(١١) الصفحة ٩٤ سطر ١٥ جاء في حديث المؤلفه عن فعل (كان) العربي : «إن هذا الجذر لا يوجد في اللاتينية ولكن يوجد مضعفه (كأن) على صورة (nosco) . الهمزة المتوسطة قلبت إلى (sc) كما يحدث غالباً في اللاتينية» .

أ - أي عالم من علماء العربية أو أي مرجع من مراجعها يسلم للمؤلفة بأن (كأن) توأم أو مضعف لفعل كان التامة أو الناقصة ؟ هل انسأقت المؤلفه وراء تشابه الحروف ؟

إن الأولى حرف والثاني فعل ، وتحليل (كأن) عند علماء العربية أنها من حرفين : كاف التشبيه مع أن التوكيدية .

ب - إذا سلمنا للمؤلفة بما ادعته ، وقارنا بين (كأن)

الانجلىق : edel ، العربية : عدل أو عادل . السؤال :
أين الميم في المثالين ؟

الانجلىق : madel ليس لها مقابل عربي
اللاتينية : mens العربية كما كتبتها (mur) ، لم
أجد (مور) ولا (مر) في العربية بمعنى (mind) الذي
ذكرته الكاتبة ، ولكن أين الميم المفتوحة في العربية ؟
(١٧) الصفحة ١٠١ : الفعل كَبَّرَ cabara ، بمعنى
نما فعل لازم .

الفعل كبر بفتح الفاء والعين ليس لازماً ؛ بل هو متعد ،
يقال : كَبَّرَ فلاناً بالسن ، أي زاد عليه ، أما اللزوم فهو
كبر بفتح الفاء وكسر العين .

(١٨) الصفحة ١٠٨ السطر ٨ ، وفي سياق المقارنة
بين فعلي (درج) و (درك) قالت : «لأن الكاف في الرمزية
الصوتية تعني الهبوط والسفل» .

إننا مع تقديرنا الكامل لما تقوله المؤلفة عن الرمزية
الصوتية التي تحدث عنها اللغويون العرب من أيام ابن
جنى وقبله أيضاً ، فإن ما قيل في هذا الباب لا يبدو أن
يكون أقوالاً نسبية احتمالية لم تصل إلى درجة اليقين
والقطع ، ولذلك فإننا نجد أمثلة على صحتها وثباتها بقدر
ما نجد أمثلة تدل على ما فيها من قلق وعدم استقرار .

إذا كانت الكاف تدل على الهبوط والسفل فقط ،
فكيف نعلل وجودها في كلمة فلك ؟ ، وفي كلمة ملاك ؟ وفي
كلمة سماك وهو نجم عالٍ في السماء ؟ ؛ لاحظ معي أيها
القارئ الكريم أنني اخترت عامداً كلمات تنتهي بالكاف ؛
لأن المثال الذي ضريبته المؤلفة ينتهي بها . ولنا بعد ذلك أن
نسأل عن وجودها في فعل مثل (كبر) و (كثر) .

وما دمنا قد بدأنا الحديث هنا عن الرمزية الصوتية
فلنكمل حديثنا عنها هنا .

ذكرت الكاتبة في الصفحة ٢٥٣ من فصل الرمزية
الصوتية عند حديثها عن حرف الخاء ، أنها تستعمل أكثر
ما تستعمل للدلالة على أن أمراً يجري خطأ مادياً أو
معنوياً أو مجازياً ، كما تستعمل للدلالة على الرخاوة
والقذارة ... إلخ .

أقول هذا صحيح ، ولكن ما معنى الخاء في كلمة
(خير) مثلاً ، وفي كلمة (خيل) وهي من أكرم المخلوقات
وأغلاها عند العربي ؟ هذا في أول الكلمة ، فإذا نظرنا
إليها في وسط الكلمة نجد بخار - بخور - رخاء - زخر ،

أو أن عند المؤلفة أمثلة أخرى لم تذكرها حرصاً على
حجم الكتاب ، وإن نقول لراحة القارئ ؟
هذا الاحتمال لم تذكره المؤلفة ، وفي رأينا أن هذه
النقطة مهمة جداً ، بل في غاية الأهمية ؛ لأنها ستعتمد
على هذه الطريقة في عشرات المواضع . نحن نطرح سؤالاً
ونعرف سلفاً أن جوابه ليس عندنا بل عند المؤلفة وعند
المختصين .

(١٤) الصفحة ٩٧ سطر ٢٢ ، وفي حديث المؤلفة عن
بائدة التاء العربية والمعاني - أو القوى المختلفة على حد
تعبيرها - التي تضيفها التاء الزائدة على بداية الفعل
العربي ، ضربت المؤلفة الأمثلة التالية : تباعد - تكسر -
تناثر - ترتب - تلاعب .

وبغض النظر عن طريقة رسم المؤلفة للتاء المفتوحة ،
مرة (tae) ومرة (ta) ، فمن الواضح من الأمثلة السابقة
أن الزيادة ليست بالتاء وحدها ؛ بل هي بالتاء والألف مرة ،
وبالتاء والتضعيف مرة أخرى ، وبالتالي فإن الزيادة التي
أصابت مضمون الفعل المجرد ، ليست نتيجة للتاء وحدها ؛
بل هي نتيجة للتاء وما شاركها في الزيادة . وكان جديراً
بالمؤلفة أن تشير إلى ذلك .

(١٥) الصفحة ٩٧ سطر ٣٢ وفي آخر حديث المؤلفة
عن بائدة التاء العربية قالت : إن بائدة التاء لها في
الانجلىق المقدرة نفسها تقريباً ، ثم ضربت الأمثلة الآتية :
to beran - to burstan - to bream - to driffan
وليس موضوع سؤالنا أن التاء العربية مفتوحة
والإنجليزية مضمومة ، ولكن سؤالنا هو التالي : هل (to)
في بداية الأفعال الإنجليزية القديمة هي من أصل الفعل ؟
أو لصيغة الفعل غير المحددة (infinitive) ؟ ؛ إذا كانت
(to) لصيغة الفعل غير المحددة فإنها لا تعني شيئاً معاً
ذهبت إليه ؛ لأنها لا تدخل في تصريف الفعل ، أما التاء
العربية المزودة فإنها تصبح جزءاً من الفعل وتدخل في كل
التصريفات والأزمنة .

(١٦) الصفحة ١٠٠ - ١٠١ ، وبعد أن تكلمت المؤلفة
عن البائدة العربية (م) وهورها الكبير في إنتاج الكلمات
العربية ، قالت إن (م) لم تبق بائدة في اللغات الأوربية ، بل
اختلطت بالكلمة التي دخلت عليها وصارت جزءاً منها ،
فنجد صيغاً تبدأ بها ، وصيغاً لا تبدأ بها ، ولكننا نجد
آثاراً تدل على أنها كانت موجودة ، ثم تبدأ بسرد أمثلتها :

واحدًا منهم بأية حال .

(٢١) الصفحة ١٢٧ السطر الأول ، قالت : «إذا قارنا بين الفعل العربي (Saffae qa) الذي مصدره (Safqan) .
إن الفعل الذي كتبه المؤلف بـ (F) مضعفة هو فعل (صَفَّق) المضعف وليس فعل (صَفَّق) . وبالتالي فإن مصدره هو (تصفيق) وليس (صَفَّق) ؛ لأن مصدر فعل يأتي قياسًا على تفعيل . هذه النقطة ، ونقطة أخرى سنعود إليها مرارًا وهي أن المؤلف تستعمل المصدر منونًا ، وتدخل نون التنوين في تركيب الكلمة . ومن المعروف أن التنوين حالة إعرابية تلحق آخر الاسم العربي في أحوال معروفة ، عندما يكون داخلًا في جملة ، ولا تلحق آخر الاسم المفرد .

(٢٢) الصفحة ١٢٧ سطر ٤ قالت : «يوجد في العربية فعل (ساح) ومزيده (سَوَّح) بمعنى الإذابة أو الصهر» .

فعل (ساح) لا يحمل في المعاجم العربية هذا المعنى ، ومن الواضح هنا أنها تأخذ عن العامية المصرية .
(٢٣) الصفحة ١٢٧ وفي الحديث عن الجذر الفعلي نفسه قالت : «ومن هذا الفعل نجد في الانجلق (pam- mian) له صيغة المصدر العربي (سوحن) نفسها ، حذفت الحاء من فعل الانجلق . وهذا الفعل خضع كبقية الأفعال التي قدمناها سابقاً إلى تبديل س بـ ث (O) ، وإلى حذف أحد السواكن الثلاثة في الجذر الفعلي» .
أ - لا يوجد ثاء في الكلمة الانجلق (pammin) ، وإذا كان بعض حروفها يلفظ ثاء فقد كان عليها أن تنبه القارئ إليه .

ب - اعتبرت نون التنوين من الحروف الساكنة الأصلية في الكلمة ، وقد سبق وذكرنا أن التنوين حالة إعرابية . لا تلحق آخر الاسم إلا إذا كان في جملة ، وفي أحوال معينة .

ج - الحاء محذوفة أصلاً كما تقول المؤلف ، ونون التنوين ليست عندنا من أصل الكلمة ، وحرف العلة ليس له شأن في حساباتها أصلاً ، فماذا يبقى من الكلمة ؟ السين المبذلة إلى ثاء هل تكفي لإثبات القرابة ؟

(٢٤) الصفحة ١٢٧ السطر ١١ ، قالت : «من الفعل سَنَ يأتي في العربية (سننت) حجر للقطع ... إلخ» . وأقول إن الفعل (سننت) فعل ماض للمتكلم المفرد ، وليس حَجَرًا

وفي آخر الكلمة نجد : رخ - زخ - ونجد أخيرًا ، وليس آخر - بخ - يخ - وهو التعبير الشهير الذي استشهدت به المؤلف في باب أصوات التعجب ، وهو يدل في العربية على الرضا والإعجاب والفخر .

هل الرمزية الصوتية صحيحة ؟ : الجواب نعم ، ولكن إلى حد ما ؛ لأنك ينذر أن تجد في الرمزية الصوتية معنى لحرف في كلمة لا تجد نقيضه أو غيره على الأقل في كلمة أخرى .

إن ما جاء به مشايخنا الأوائل في الرمزية الصوتية يعد معجزًا بالمقارنة إلى زمانهم ، ولكن لغويينا لم يضيفوا إلى ذلك شيئًا يستحق الذكر ، والأمير يحتاج إلى أبحاث عميقة لم يتصد لها أحد حتى الآن مع الأسف .

(١٩) الصفحة ١١٦ سطر ٩ قارنت المؤلف بين كلمة (عريض) العربية وكلمة (largus) اللاتينية ، قالت إن اللاتينية بدلت العين العربية إلى (l) ، كما بدلت النهاية العربية القوية (ض) إلى (g) .

نعود إلى قضية المثال الواحد ، ونعود إلى الشروط التي وضعتها لتكون كلمتان قريبتين لغويًا أن تحتويا على الحروف الساكنة نفسها ، وهاتان الكلمتان لا تحتويان على الحروف الساكنة نفسها ، أما البدائل فقد أسرفت في الاعتماد عليها بدون تقديم أمثلة كافية .

(٢٠) الصفحة ١٢٦ وفي الجول التالي :

let us examine some of these foms beginning with /O/

Mod Eng	OE	L	Rom	CA
head , master	peoden	senator	seignor	[sayed-un]

تقول المؤلف «إن الفرق بين الصيغة العربية (سیدن) وبين الصيغة الانجلق (peoden) هو نتيجة للبدائل التالية : س تبدلت إلى (q) ، ي تبدلت إلى (o) ، بالإضافة إلى حذف أحد الحرفين الصوتيين ، وفي الانجلق الياء يمكن أن تكتب (o) وتلفظ ياء ... إلخ» .

الأمثلة كلها ليس فيها حرف (q) ، والمثال العربي ليس فيه (ق) التي رمزها (q) كما جاء في قائمة رموز المؤلف . هذا كله يفترض أن (q) خطأ مطبعي وصوابه (p) . هذا نموذج من عشرات النماذج المرهقة للقارئ ، وأرجو ألا يحاسبني أحد على بطاء اكتشافاتي لهذا الخطأ ؛ لأن الخبراء في اللغة الإنجليزية القديمة معدودون ، ولست

المؤلفة أيضا - وهنا موضع الاستشهاد - : في الصيغ السابقة - لاحظ ضياع عائد الضمير - حصلت البدائل التالية : v : f / f : b هذا المثال من الأمثلة النموذجية على ورطة القارئ في عدم وضع الرموز بحرفين طباعيين متباينين ، يوضح كل منهما : هل هو رمز لحرف لاتيني ، أو لحرف عربي ؟

الجذر العربي ليس فيه باء ، والجذر الإنجليزي ليس فيه باء ، فالكلام يكون عن ماذا ؟

لا يوجد باء إلا في الصيغة الجرمانية (graben) فقط ، وهي ليست موضع اهتمام المؤلفة ، في هذه الفقرة ، وإذا كانت موضع اهتمامها فلماذا استعملت صيغة الجمع : (في الصيغ السابقة) وتتجنب المزيد من التفصيل لنجوى بالقارئ من إطالة لا طائل تحتها .
(٢٦) الصفحة ١٣٣ سطر ٢٠ ، قالت المؤلفة بعد الجول :

If we compare :

OE	OSp	L	Gr	CA	L
braep	brisa	zaephyrus	Ccovp os	[zafiyr]	spiritus

«الجذر اللغوي للصيغ السابقة كلها في العربية هو (زفر) ، والمضغف من هذا الفعل هو (زفرزف) ، وهو يستعمل لحركة الريح التي تداعب الأشجار ، وللريح الخفيفة (النسيم) ، ولكن (الزفرزف) تستعمل لوصف الريح المستمرة القوية الهبوب .»

إن فعل (زفرزف) ليس مضغف (زفر) كما قالت ، ولكنه مضغف فعل (زف) ، صحيح أن الفعلين يشتركان في فاء الفعل وعينه (ز ، ف) ، وهذا يدل على أن بينهما قدرًا مشتركًا من المعنى ؟ ، ولكن (زفرزف) ليس مضغف (زفر) ؛ لأن لام الفعل تختلف ، والفعل (زفرزف) ليس فيه راء . وإذا تمسكت المؤلفة برأيها هذا ، فإنها تسقط كلامها - الذي أكدته وكررت مراراً - عن الرمزية الصوتية ؛ لأنها تجاهلت حرف الراء ، وأسقطته من حسابها نهائياً ، وبالتالي أهملت دوره في تحديد معنى الفعل الثلاثي ، الذي تعدّه بكامله جزءاً من المضغف ، وهو ليس كذلك . وبقي بعد ذلك شيء مهم : إن الريح الخفيفة فعلها في العربية هو (زف) وليس (زفرزف) كما ذكرت في بداية الكلام .

للقطع ، واسم الآلة يأتي من هذا الفعل على وزن (مِفْعَل) وهو (مِسَنّ) ، وهو حجر أو أداة لشحذ الأدوات الحادة ، وليس أداة للقطع .

وقالت في شرح مشتقه (سنة) - سنعود إلى أنها بضمة واحدة - بأنه الاستعمال والقانون وال (cutom) . ولم أعثر على هذه ال (cutom) في أكسفورد ، ولا في ويبستر ، ولا في القاموس العصري ، فهل هي غلطة مطبعية أخرى ؟ ربما كانت (custom) بمعنى العادة ، وبذلك يستقيم الكلام .

ولا يمكن أن ننهي الكلام عن هذا المثال قبل أن نتحدث عن الضمة الواحدة في (سنة) ، ولم تثبت لها المؤلفة تنويناً كالذي أثبتته أمثلة سابقة ، هذا يجعلنا نشعر بأنها تثبت التنوين عندما تحتاج إليه للتقريب بين الصيغتين ، وتتركه حين لا يفيد ذلك . نسيت ما يسمون هذا الفعل في علم الاستدلال والمنطق ، ولكن أيضاً كان الاسم فإنه يوجه طعنة قاتلة إلى دراستها . ولكن الإنصاف يقتضي منا أن نذكر هنا بأنها تستعمل التنوين غالباً مع المصادر .

في حديثها عن الجذر السابق نفسه (سن) ، وبعد أن تحدثت عن (سننت) وال (سنة) قالت إننا نجد كلتا الكلمتين في الانجلى . الأولى (stan) بمعنى الحجر ، التي خضعت لحذف إحدى النونين ، وإبدال مكان التاء الأخيرة لتشكيل تجمعاً مع ال (s) الابتدائية ، والثانية (peam) ، ولكنها خضعت لإبدال السين بشاء (A) وال (هـ) إلى (W) بالتضاد ... إلخ . وهنا يحار القارئ ويضيق المعنى عليه . الكلمات العربية التي ذكرتها المؤلفة ليس فيها (هـ) ، ولا (و) بصورتها العربية ، ولا (w - h) بصورتها اللاتينية ، ولذلك يحق لنا أن نتساءل : عم تتحدث المؤلفة ؟ هل سقط قسم من الكلام أثناء الطبع ؟ أو هل هناك خطأ مطبعي آخر ؟

(٢٥) الصفحة ١٣٣ سطر ٥ وما بعده ، وفي حديث المؤلفة عن الجذر الفعلي العربي (جرف) و (grefan) في الجرمانية العليا القديمة ، قالت : «إن قريبه اللغوي هو المصدر العربي (جرفن) - لاحظ التنوين - وهو في الإنجليزية الحديثة الانجلى (grave) ، وفي الانجلى (gerefa) وفي الجرمانية (graben) . وقالت إن (جرف) العربية هي قريبة اليونانية (golfos) » . وقالت

ما دام حديث المؤلف مخصصاً لما تسميه العربية الكلاسيكية .

(٣٠) الصفحة ١٤٣ سطر ١٥ :

Mod Eng	OE	L	CA
1 - pure	toht	purus	[Tohr]
2 - beard	beard	barba	[bardah]
3 - drink	drincan	bibere	[saeribae]
4 - crab	crabba	cancer	[caboriyah]
5 - dead	dead	mortus	[Maeyet] , [maewt]

في كلام المؤلف عما أصاب المثال الأخير من الجدول السابق ، قالت : «إن الانجلق بدلت (t) و (t) إلى (d) بالبدائل المحببة أو المفضلة .»

وبما أن كلمة (موت) أو (ميت) ليس قيهما إلا تاء واحدة فلا بد من خطأ مطبعي ، والجملة يجب أن تكون كما يلي : إن الانجلق بدلت كلا من (ت ، م) إلى (d) بالبدائل المفضلة وهذا الكلام يطابق تمامًا المثال الإنجليزي (dead) .

(٣١) الصفحة ١٤٥ سطر ١٦ ، وفي حديث الكاتبة عن الصيغ الوصفية والإسمية في اللغة العربية ، اختارت الفعل (قطع) مثلاً ؛ لأنه يقابل في الانجلق فعل (cut-tan) ، وقالت عنه في السطر السادس عشر : إنه الصيغة غير المحددة للفعل .

والحقيقة أن اللغة العربية ليس فيها صيغة غير محددة للفعل (infinitive) ، وإن هذا الاصطلاح خاص باللغات اللاتينية ؛ لأن صيغة (قطع) تدل على حدوث فعل القطع في الزمن الماضي للمفرد المذكر الغائب ، علاوة على كونهما الجذر الفعلي لعائلة (قطع) كلها .

ونضيف أنه ليس من الضروري أن تنطبق كل اصطلاحات لغاتهم على لغتنا ؛ لأن لكل لغة شخصيتها واعتباراتها . وقد وقعت المؤلف في هذا الشرك أكثر من مرة .

(٣٢) الصفحة ١٤٥ سطر ٢٢ وما بعده ، وفي حديث المؤلف عن فعل (قطع) ومشتقاته ، قالت :

قطع : الصيغة غير المحددة للفعل .

قطعا : المصدر .

قطع : فعل القطع .

(٢٧) الصفحة ١٣٤ سطر ٢٤ بعد الجول :

OE	OHG	Icel.	L	CA
cnaep	Knoph	knappr	caput	[qobaeh] Or [qobaetun]

قالت المؤلف : «إن اللاتينية حذفت النون الأخيرة un لتعطي الكلمة نهاية صرفية لاتينية .» وأقول إن نون التنوين أو (un) التي جعلتها المؤلف في آخر كلمة (قمة) ليست أصلية ، ولكنه تنوين الرفع الذي لا يأتي على آخر كلمة مفردة ، وقد سبق وناقشنا المؤلف في هذا الأمر ، ولكننا نذكر القارئ الكريم بكلمة (سنة) كتبها بضمة واحدة مع التاء ، إنها الحالة نفسها بالضبط ، فلماذا كتبها المؤلف بنون التنوين مرة ، وبضمة واحدة تارة أخرى ؟ ، وكتبت التاء المربوطة بدون نقاط ولا حركات مرة ثالثة ؟ ، لاحظ أنها كتبت (قبه) بلا نقاط ولا حركات ، ثم تختار الرسم الذي يناسبها لتجعله موضع الدراسة والمقارنة .

(٢٨) الصفحة ١٣٨ سطر ١١ ، وفي نهاية كلامها عن مشتقات فعل (حف) قالت : «إن الجذر اللغوي الذي ترجع إليه الصيغ السابقة هو فعل (حف) بمعنى كان على حافة الشيء ، علم الحد ، أحاط ، كسر أو تعدى ... إلخ .»

إن المعنى الأخير من التعدي والكسر لا يأتي من فعل (حف) المضعف ، ولكنه يأتي من فعل (حاف) الأجوف ، وفي القرآن الكريم : «أم تخافون أن يحيف الله عليكم ؟» (٢٩) الصفحة ١٤٠ سطر ١٥ قالت المؤلف : «إن

بعض الكلمات خضع لإبدال بتقديم الباء إلى موقع متقدم ، وبعضها خضع للإبدال والحذف ، ثم ضربت الأمثلة التالية : كتاب - كوبري - كبير .» من الواضح أن الكاتبة تأخذ عن العامية المصرية التي أخذت بدورها عن الإنجليزية أو الفرنسية ؛ لأن (كوبري) بمعنى (جسر) غير عربية ، والجذر الثلاثي (كبر) لا يتضمن هذا المعنى من قريب أو بعيد ، أما الجذر (كوبر) فلا وجود له في العربية أصلاً . وأقصى ما نأخذه من الفعل (كبر) هو النعت (كبير) ، وهو نعت يمكن أن يكون لأي شيء ؟ ، فكيف لنا أن نشبته للجسر وحده ؟ ؛ ثم هل كانت الجسور الكبرى معروفة قبل عشرة آلاف سنة أو تزيد ؟ ، وسنجد مثل ذلك بالضبط في الصفحة ١٤٣ عند حديث المؤلف عن كلمة (كابورية) إن هذه الكلمة عامية مصرية ليس لها وجود في أي معجم عربي ، وليس من شأن هذه الدراسة أن تبحث عن أصلها ،

(٣٥) الصفحة ١٤٧ في الجدول الثاني ، المثال الرابع، ذكرت المؤلفات الفعل (قمس) وذكرت أن معناه القطع أو التقطيع ، ولم أجد هذا المعنى في المعجم . قمسه في الماء : غمسه . قمست الدلو في الماء : غطسته ... إلخ .

(٣٦) الصفحة ١٤٦ وفي صفحات كثيرة أخرى ، وفي حديث المؤلفات عن الموازين الصرفية ، رمزت للحرف الساكن بـ (c) ، ورمزت للحركة بـ (v) ثم كتبت صيغ الأفعال والأسماء على هذا الأساس ، مثال : (cvcc) ، (cvcvcv) ، (cvcvcv) .

هذه الطريقة تشبه الكتابة العروضية الحديثة عند بعض علماء العروض من المحدثين ، مثال : (فعلولن = /o/o/) . وإذا كانت هذه الطريقة تستقيم في العروض ، فإنها لا تعني شيئاً في موازين الكلمات ، وبخاصة للقارئ العربي ، أما القارئ الغربي فإنها تقدم له صورة غير صادقة ، ومن الواضح من الأمثلة أن المؤلفات ساوت بين الحركات ، ووضعت (بُزج - نُهر - تَرس) في وزن واحد ، والحقيقة إنها عندنا على ثلاثة أوزان . ولو أردنا أن نناقش كل وزن وكل مثال جاءت به المؤلفات في هذا الباب لاحتاج منا الأمر إلى بحث مستقل .

ثم إنها لم تتبع طريقة مضطربة في كتابة الأوزان ، فقد كتبت وزن فعيل ص ١٤٩ بهذه الصورة : (cvciyc) أثبتت له الياء والكسرة معاً . وكتبت وزن (فاعل) ص ١٤٨ بهذه الصورة : (cv:cec) ولم تثبت له الألف ، وذكرت من الأمثلة عليه حافر ، عادل .

أما الوزن (cvcvc) فقد ذكرت عليه من الأمثلة : عقاب - فالح - حامل - بخار . فهل في العربية وزن واحد يجمع هذه الكلمات الأربع ؟

أما الخلط بين اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة وبين اسم الفاعل الذي يفيد الحدث ، فهو مما لا يسمح به في دراسة لغوية بهذا المستوى .

الحديث نفسه يمكن أن يقال عن بقية الأمثلة ، ثم إنها قد تأخذ الوزن باعتباره الصوتي فقط ولا تنتبه إلى الاختلافات في المعنى للوزن الواحد ، ففي قائمة واحدة ساوت المؤلفات أو لم تفرق على الأقل بين (فعليل) بمعنى (مفعول) : فسيخ ، وبين (فعليل) الدال على من فعل الفعل : (عقيل) .

إن هذا الفصل لم يضيف إلى بحث المؤلفات شيئاً ذا

إن تنوين النصب في آخر المصدر المفرد ، ولا يلحق بآخره إلا إذا وقع في جملة وهو في حالة النصب ، ونحن لا نرى أي فرق بين (قطعا) وبين (قطع) على النحو الذي جاءت به المؤلفات . ثم إن المشتقات المختلفة التي جاءت بها المؤلفات من فعل (قطع) ليست على نسق معين يوصل القارئ إلى قاعدة ، ولكنها مشتقات مختلفة ، من أفعال مختلفة ، لا يجمع بينها إلا أنها تحتوي على الحروف الأصلية للفعل (ق - ط - ع) .

(٣٣) الصفحة ١٤٨ سطر ١٠ واحد من الأخطاء المطبعية النموذجية ، الكلمة العربية (hae mel) الـ (h) الصغيرة تعني بالعربية الهاء ، وتصبح الكلمة بالعربية (هامل) ، وهي كلمة عربية أصيلة ومعناها قد يتصل بمقابلها في الانجلىح (عبد أو رقيق = slave) ، وكثيراً ما يضطر القارئ إلى التقرب من المفردات الأجنبية ليتقرب من الكلمة العربية . الجذر اللغوي الذي كتبه على السطر نفسه مقابل هذه الكلمة هو (Hamel) ، وهو بالعربية (حامل) ، فأي هي الصحيحة ؟ والكلمتان قد تمتان بشكل أو بآخر إلى معنى العبودية في الكلمة الانجلىح .

(٣٤) الصفحة ١٤٩ سطر ٢٥ ، قالت المؤلفات في سياق حديثها عن صيغ التانيث العربية : «وهكذا فإن التاء هي علامة التانيث الكبرى في العربية ، ولكن هذه التاء المتطرفة تكتب غالباً هاء ولا تلفظ في الكلام مطلقاً» .

إن تاء التانيث تكتب تاء مربوطة بنقطتين ، وتلفظ تاء ، إلا إذا وقفنا عليها في آخر الكلام ، فإنها تلفظ في هذه الحالة هاء ، ولكنها تبقى تاء مربوطة بنقطتين ، والمعلمون يحاسبون طلابهم على هذا الخطأ الإملائي إن وقع .

ولتأكيد الخطأ عقب المؤلفات على كلامها السابق بما يلي : «ولهذا السبب يسميها النحويون العرب التاء المربوطة إنها حرف متطرف يلفظ كهاء إذا تلتته حركة نحوية ، ويلفظ هاء إذا لم يكن متبوعاً بحركة» . لماذا اللفظ السابق إذن ؟ ولكن الأهم من ذلك كله أن النحويين العرب لم يقولوا قط إنها تكتب كالهاء بلا نقطتين ؛ بل قالوا إنها تلفظ كالهاء عند الوقف عليها . والنحويون العرب لم يسموها عبثاً التاء المربوطة ، وإنما فعلوا ذلك عامدين ليميزوا بينها وبين التاء المفتوحة في الرسم الإملائي وفي الوظيفة أيضاً ، ولم يكن هناك ما يمنعه أن يسموها هاء ، لو كان ما ذهبت إليه المؤلفات صحيحاً .

هنا أن أقل حروف الفعل عند علماء العربية ثلاثة ، ومن الواضح من تكرار استعمالها لاصطلاح (فعل ثنائي المقاطع) ، أنها تصنف الأفعال تصنيفاً جديداً لا يعد حروف العلة أصلية ، وهذا كلام فيه نظر ، ولم يقل به أحد من علماء العربية .

صحيح أن حرف العلة في الفعل العربي قابل للتبديل (قال يقول ، رمى يرمي) ، ولحذف أحياناً (وجد : يجد) ، ولكن لم يقل أحد من النحاة العرب أنه غير أصلي ، وإذا كانت المؤلفة قد أخذت هذا الكلام عن مراجع أجنبية فقد كان جديراً بها أن تشير إلى ذلك . والأجدر بها في كل الأحوال أن تتعامل مع اللغة كما يتعامل معها علماءها الأصليون .

(٤٠) قالت المؤلفة تحت عنوان «النهايات النحوية في اللغة العربية» ما يلي :

يوجد في اللغة العربية خمس حالات نهاياتها النحوية كما يلي :

أ - حالة الرفع وتنتهي بالضمة / u / burgu

ب - حالة النداء وتنتهي بالضمة / u / burgu

ج - حالة النصب وتنتهي بالفتحة / a / burga

د - حالة الجر وتنتهي بالكسرة / i / burgi

هـ - حالة الإضافة وتنتهي بالكسرة / i / burgi

وجوابنا على هذا الكلام هو ما يلي :

أ - الحالات النحوية لآخر الكلمة العربية ثلاث وليست خمساً ، وهي الرفع والنصب والجر ، وعلاماتها الضمة والفتحة والكسرة أو ما ينوب عنها .

ب - هناك حركة رابعة لم تذكرها المؤلفة وهي السكون ، أو هي حركة اللاحركة ، وهي واضحة كل الوضوح على آخر الفعل المجزوم الصحيح الآخر .

ج - لا يوجد عندنا في العربية ما تسميه حالة النداء (vocative) إلا إذا كان لهذه الكلمة معنى آخر ليس موجوداً في المعاجم الإنجليزية المتوافرة لدي . ثم إن المنادى عند علماء العربية منصوب ؛ بل الأصل فيه النصب ، وإذا وقعت على آخره ضمة في حالات معروفة ، فيكون مبنياً على الضم في محل نصب .

د - تركنا الجدل مع المؤلفة عن الحركة في آخر الكلمة : هل هي نهاية كما تقول ، أو جزء من الحرف ؛ لأنه موضوع خلاف كبير ، ولكننا نقول إنه لا وجود لحرف في

بال والعلاقات التي حاولت المؤلفة أن تقيّمها فيها تعسف كبير ، خذ على ذلك مثلاً كلمة (فالح) ، وكتبت بها المؤلفة هكذا (faelaeh) ، والعلاقة التي بينها وبين الكلمة اللاتينية (felaga) بمعنى شخص ؟ ، إن وزن فاعل الذي قالت إنه مشترك بينهما لا يستقيم إلا بتعسف كبير .

(٣٧) الصفحتان ١٥١ - ١٥٢ ، وفي حديث المؤلفة عن وظائف ومعاني تاء التانيث ، قالت : «إن التاء في كلمة بلوة هي تاء المبالغة» .

التاء في (بلوة) ليست تاء المبالغة كما تدعي المؤلفة ؛ لأن الفعل هو (بلا) ، وهي تاء المرة ؛ لأن اسم المرة يأتي من الثلاثي على وزن (فَعْلَة) ، والتاء للمصدر وليست للمبالغة ، تاء المبالغة هي في صيغ مثل (علامة) وغيرها من الصيغ المشابهة .

(٣٨) الصفحة ١٥٢ سطر ٥ ، قالت : «وبالعكس فإن الذات المؤنثة يمكن أن نستعمل لها لفظاً مذكراً إذا كانت شيئاً مثالياً مشرقاً متفرداً نادراً لا نظير له ، ثم ضربت على ذلك مثلاً بكلمتي أرض ، شمس» . وأقول : إن عدم وجود تاء التانيث في هاتين الكلمتين لا يدل على أنهما مذكرتان ، وأن الحديث عن المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي من مناهج المرحلة المتوسطة . ثم إن تاء التانيث ليست علامة التانيث الوحيدة في اللغة العربية ، ومن عجب أن المؤلفة لم تتحدث عن غيرها . واعتبار المؤلفة لكلمة (أرض) صيغة مذكرة هو اعتبار خاطئ أصلاً وموضوعاً ، كما لو اعتبرنا (زينب) صيغة مذكرة ؛ لأنها لا تنتهي بعلامة التانيث .

ثم إن حديثها عن الذات المؤنثة بغير تاء بأنها شيء مثال متفرد ... إلخ ، فهو حديث يفتقر إلى الدقة والموضوعية ، وإذا رفضت المؤلفة مثال (قرس) ؛ لأن للفرس عند العرب شأنًا عظيمًا ، فماذا تقول في مثال (أتان) وهي أنثى الحمار ، وهي بغير علامة تانيث .

(٣٩) الصفحة ١٥٢ قالت : «في الصفحات السابقة أعطينا للصيغ المشتقة من الأفعال ثلاثية المقاطع ، وسنغطي فيما يلي الصيغ الرئيسية المشتقة من الأفعال ثنائية المقاطع» .

الكلمة العربية توزن بحروف كلمة (فعل) ومزيداتها وحركاتها ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن طريقتها في وزن الأسماء والأفعال العربية فلا داعي للتكرار ، ولكن ما نريده

تتناقشها . فكلمة (ضاري) كتبها هنا (Dari) ، ولو كتبنا هذه الكلمة وفقاً لرموز المؤلفه لكانت صورتها هكذا : (Dary) ، ومع أن ياء (ضاري) لا تحذف إلا إذا وقعت في جملة بتنوين الرفع أو الجر ، ولكنها خالفت قائمة رموزها وكتبت الياء العربية كسرة (i) لتسهيل عملية نقلها إلى اللاتينية ، ومما يدل على أن عملها مقصود أنها قالت : «اللاتينية أزاحت الكسرة الأخيرة إلى موقع متقدم لكي تعطي آخر الاسم خاتمة لاتينية (us)» .

السؤال : هل المحنوف كسرة أو ياء ؟ ؛ ولم تتحدث أبداً عن الألف المحنوفة من الصيغة العربية ، ولم تذكر أن الفتحة التي كانت على (ض) قد صارت في اللاتينية كسرة.

ثم إن اصطلاح «موقع متقدم» تعبير غير دقيق ، وهي تستعمله تارة بمعنى الحرف الأول ، وتارة بمعنى الحرف الثاني ، ونحائنا القدماء كانوا أكثر دقة بما لا يقاس عندما أصرّوا على استعمال عين الفعل ، ولام الفعل ، وفاء الفعل. إن هذا التغيير في أسلوب كتابة الكلمة العربية سيعاني منه القارئ من أول صفحة في الكتاب إلى آخر صفحة منه .

(٤٤) الصفحة ١٩٩ سطر ١٤ ، قالت : «يوجد في العربية فعل (فلقس) ... إلخ» .

لم أجد في المعاجم الموجودة لدي هذا الفعل . (٤٥) الصفحة ٢٠٩ سطر ١ - ٢ قالت : «إن العدد واحد مشتق من فعل (وحد) بمعنى أن يكون واحداً .. إلخ» وأقول : الفعل (وحد) يعني جعل شيئين أو أكثر شيئاً واحداً ، وليس معناه أن يكون واحداً ، هذا المعنى الأخير يأتي من فعل (توحد) وليس من فعل (وحد) . الثلاثي المجرد (وحد) موجود في اللغة ومعناه انفرّد بنفسه فهو وحيد ، واسم الفاعل منه (واحد) ، فلماذا تتكلف المؤلفه جعل اشتقاقه من (وحد) المضعف ؟

(٤٦) الصفحة ٢١٠ قالت عن العدد خمسة : « إن خَمَسَ في العربية يعني أن تصنع جزءاً صغيراً من كل ، فرق صغير ، نقرة في إطار أكبر ... إلخ» . أقول : لم أجد في المعجم شيئاً من هذه المعاني .

(٤٧) الصفحة ٢١٠ وفي حديثها عن العدد ستة ، قالت : «إنه مشتق من الجذر الفعلي (ست) ، بمعنى أن يكون في الصفوف الخلفية ، ليس أمامياً ، داخلي ، أو في

العربية إلا وهو مقترن بإحدى الحركات ، ولكننا نسأل بكل جدية وبساطة : إذا كانت الضمة على اللام في (يقول) نهاية ، فبماذا نصف الضمة على القاف في وسط الكلمة . (٤١) الصفحة ١٦٢ سطر ٧ ، وبعد أن تحدثت طويلاً عن (frequentative verbs) ، وعرفتتها تعريفاً لا يقبل الجدل بأنها الأفعال المضعفة على وزن (فعلل) ، مثل : بلبل - زلزل ... إلخ ، إذا بها تضع في آخر الصفحة الأمثلة التالية : زغلل - رفرر - شتت - رزرز - فتت ... إلخ . من الواضح أن هذه الأفعال يتداخل فيها وزن فعلل المضعف ، بوزن (فعل) المزيد بالتضعيف ، ومن الواضح أيضاً أن المؤلفه تنظر إلى المجرد والمزيد نظرة لا علاقة لها بقواعد اللغة العربية التي تتحدث عنها ، ولم تذكر لنا هل هذه النظرة من عندها ، أو أخذتها عن بعض علماء اللغويات .

(٤٢) الصفحة ١٩٨ سطر ٦ الفصل ٨/١٦ ، الوزن (CVCI) في اللاتينية والانجلى :

من الواضح أن المؤلفه في هذه الفقرة تتحدث عن ياء النسب ، التي قالت عنها إنها تنقلب إلى (g) في الانجلى . وقالت أيضاً إن بقايا هذا الوزن انتقلت إلى الانجلى مثل (greedy) بمعنى طماع أو شره ، كانت في الانجلى (grae ding) .

إن ياء النسب ليست في اللغة العربية وزناً من الأوزان؛ بل هي حرف يلحق آخر أي اسم من الأسماء ، على أي وزن كان ، فكيف سمحت المؤلفه لنفسها أن تجعلها على وزن واحد ؟ ؛ بل إنها ضربت على ذلك مثلين : سوري - فينيقي، وليس بينهما مشترك إلا ياء النسب . من الواضح أيضاً أن كلمة (pattern) التي تستعملها المؤلفه لا تساوي في مدلولها الدقيق كلمة (ميزان أو وزن) العربية كما تستعملها في العربية .

بقيت نقطة مهمة جداً : هل آراء المؤلفه في الصرف العربي - وهي مهلهلة إلى حد كبير - من عندها ، أم هي منقولة عن بعض علماء اللغويات ؟

(٤٣) الصفحة ١٩٩ الفصل ١٠/١٦ ، سطر ٣٠ قالت : العربية : ضاري Dari في اللاتينية dirus ، في الانجلى : deor

المؤلفه تكتب رموزها على هواها في كل كلمة ، بالشكل الذي تراه أنسب أو أقرب إلى الفكرة التي

الداخل ... إلخ» .

الست هو العيب أو الكلام القبيح ، ولم أعثر عليه كفعل أصلاً .

(٤٨) الصفحة ٢١٢ سطر ٣١ ، وفي حديث المؤلف عن العدد ألف في اللاتينية قالت : «إنه جاء من الجذر الفعلي العربي (مال) ومن مضعف هذا الفعل (مل) جاءت في اللاتينية كلمة (millia) التي هي في العربية (مِلَّة) وتعني في العربية مجموعة من الناس من الأصل نفسه ، أو العقيدة نفسها ... إلخ» .

أ - من يسلم للمؤلفة بأن فعل (مل) هو مضعف فعل (مال) ؟

ب - إن كلمة (مِلَّة) بكسر الميم هي الطريقة في العقيدة ، وليست مجموعة من الناس ، ولو أخذناها بهذا المعنى فإنها لا تعني الإضافة التي ذكرتها المؤلف (من الأصل نفسه) ؛ لأن العقيدة لا تعني أن أصحابها من أصل واحد .

(٤٩) الصفحة ٢١٦ ، وفي حديثها عن العلم ، قالت : «عندما يسبق اسم أو نعت بـ (ال) التعريف يتغير من نكرة إلى معرفة أو علم ، أو نعت لعلم ، إنه لا يبقى صفة ولكن يميز شخصاً معيناً ، وهو يساوي في الانجلى النعوت المسبوق بـ (the) مثل : (the wise - the just) عندما تتبع علماً ، ... وهو في العربية يسمى كنية» .

إن ما ذكرته المؤلف يسمى في النحو العربي (اللقب) ، أما الكنية فهي كل علم مسبوق بآب أو بأم .

(٥٠) الصفحة ٢١٧ - ٢١٨ ، وبعد تحليل بديع جداً للرمزية الصوتية في كلمة (قلق) العربية قالت : «ولم يستطع أحد أن يعرف القلق باعتباره تناقضاً بين حركتين قويتين ، أو جذبين متعاكسين ، حتى تقدم علم النفس الحديث . ومثل هذه الومضات في اللغات الهندية الأوروبية تقودنا إلى الاستنتاج بأن هذه الشعوب وصلت إلى درجة عالية من الحضارة قبل أن تدمر - ربما - مهاجرة وبائدة من جديد ... إلخ» .

(قلق) كلمة عربية ، والحديث كان عن اللغة العربية فما الذي وصل بالمؤلفة إلى الحديث عن اللغات الهندية الأوروبية ؟ ؛ هل تخشى المؤلف أن يتهمها القارئ الغربي الذي وجهت كتابها إليه بالتعصب للسامية ؟ !

(٥١) الصفحة ٢١٨ قالت : «في الصفحات السابقة

عدنا بكثير من الكلمات إلى جذرها الفعلي ، وفي الحقيقة فإن كل الأسماء سواء أكانت نكرات أم أعلاما يمكن إعادتها إلى الفعل الذي اشتقت منه ... إلخ» .

من مسائل الخلاف الكبرى بين البصريين والكوفيين : هل جاء الاسم أولاً ، أم الفعل أولاً ؟ والمؤلفة عندما اعتبرت الفعل أولاً لم تخرج على أحد الخطوط الرئيسة في النحو العربي ، والمؤلفة تجاهلت نهائياً ما يسمى عندنا الاسم الجامد ، وهي أسماء لم يثبت أن لها جذراً فعلياً ، ولكن قد يشتق منها الفعل ، مثل : أسد : استأسد - حجر : تحجر ... إلخ .

الكتاب مليء بعشرات الأمثلة من هذا النوع ، وقد مر معنا أنها اعتبرت العدد ستة مشتقاً من الجذر الفعلي (ست) ، مع أن هذا الجذر غير موجود في اللغة كفعل . نحن لسنا ضد نظرة جديدة في اللغة ، ولكننا ضد صياغة قاعدة بغير تحليل واضح مقبول .

(٥٢) في رأس الصفحة ٢٢٥ سطر ٥ ، ذكرت أن كلمة طرش (Tarasv) = (deaf) . وهذه يجب أن يقابلها (أطرش) . هل خلطت المؤلف بين المصدر وبين الصفة المشبهة ، أو هو خطأ مطبعي آخر ؟

(٥٣) الصفحة ٢٢٧ سطر ٢٣ قالت : «إن (قَتْلَة) مؤنث طريقة القتل» .

هذا غير صحيح ؛ لأن (قَتْلَة) بفتح القاف هي اسم المرة من الثلاثي (قتل) ، أما اسم الهيئة من الثلاثي فيأتي على وزن (فِعْلَة) بكسر الفاء ، وكان على المؤلف أن تكتب الكلمة بالانجليزية كما يلي (qitlah) ، بدلاً من كتابتها بهذا الشكل (qatlah) .

(٥٤) وفي السطر التالي ذكرت أن (مقتل) (maq-tal) هو قتل خاص أو جريمة .

إن (مَقْتَل) بفتح الميم والتاء ، أما أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى المصدر الأصلي ، وأما اسم مكان ، وهو مكان القتل ، تقول أصابه في مقتل ، أو اسم زمان .

(٥٥) في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة : أ - قاتل (qatel) الشخص الذي يقوم بعملية القتل . ب - قاتل (qatael) الشخص الذي يحترف القتل . الخلاف ليس على المعنى ؛ لأن اسم الفاعل في العربية قد يكون بمعنى الصفة المشبهة ، وإن كان المعنى

أولاً : كان على المؤلف أن تراعي المستويات المختلفة لقرائها ، وتذكر كل اختزالاتها في أول الكتاب .
ثانياً : - وهذا هو الأهم - من قال للمؤلف إن النظام الطبيعي للجملة العربية أن تكون فعلية ، إن نصف كلام العرب على الأقل جمل اسمية .
(٥٩) الصفحة ٢٣٢ الفقرة ٩/١٩ ، قالت :
« هنا الكتاب here is the book
ظرف + الاسم الاسم + فعل + ظرف »
أقول : (هنا) في العربية اسم إشارة للبعيد ، وليست ظرفاً .

(٦٠) الصفحة ٢٣٣ ، قالت :
« أعطني الكتاب = give me the book الجملة هنا طلبية ، وهي أمر مباشر في اللغتين ، ولذلك جاء الفعل أولاً ، وفي اللغتين حذف ضمير المخاطب ... إلخ . »
هذا الكلام صحيح عندهم ، ولكنه غير صحيح عندنا ، والضمير ليس محذوفاً ولكنه مضمّر وجوباً ، والدليل على ذلك أن نتابع الأمثلة :

أ - أعطني الكتاب give me the book

ب - أعطيني الكتاب give me the book

ج - أعطوني الكتاب give me the book

بمجرد أن أصبح ظهور الضمير ضرورياً ظهر واتصل بالفعل ، أما في الانجلى فقد بقيت الجملة على حالها ، ولا يفهم معناها إلا من كان وقفاً على حقيقة حال المتكلمين . وهذه النقطة تسجل لصالح العربية .

(٦١) الصفحة ٢٣٧ ، قالت : « وقد يتقدم المفعول على الفاعل كما في النظام الثالث ، ولكنه لا يتقدم على الفعل إذا كان متعدياً فله السبق على الجملة كلها ... إلخ . »

هذا الكلام غير صحيح في العربية ، والمفعول قد يتقدم على فعله ، وفي القرآن الكريم «إياك نعبد» وفيه أيضاً «وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» .

لا يعيب المؤلف أن تكون بضاعتها من العربية قليلة ، ولكن يعيبها ألا تراجع وتتأكد قبل إصدار أحكامها . هذا احتمال . والاحتمال الآخر أنها تأخذ كلام الخواجات على علته ، دون تحقيق أو تحييص ، أو حتى إشارة إلى مخالفته لقواعد معروفة في العربية .

(٦٢) الصفحة ٢٤٦ قالت : « نجد في العربية كلمات عديدة تعرّف المطر ، ومعظمها يبدأ بالراء : رخ - رذ -

الثاني محدثاً ، ولكن الخلاف حول كلمتين متساويتين لفظاً ومعنى واشتقاقاً ، فلماذا كتبتهم بشكل مختلف ؟
(٥٦) الصفحة ٢٢٨ ، وفي بحث المؤلف عن النعوت قالت : « النعت السجية - هو عندنا الصفة المشبهة - يدل على أن الميزة كامنة فيه (innate) ، أما إذا جاء خبراً فيدل على أن الصفة ليست أو لا يفترض أن تكون ثابتة ، قد تكون وقتية ، أو مكتسبة ، أو مفترضة ... إلخ .
- الجارية الجميلة the comely girl إنها صفة تدل على حقيقة ذاتية .

- أما قولنا the girl is comely ، فإنها تفيد أنني وجدتتها جميلة ، وقد لا تكون كذلك » المؤلف تخطى في هذين المثالين بين النعت وبين الجملة الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب ، المثال الأول (the comely girl) كله مبتدأ بلا خبر : الجارية الجميلة ، إلا إذا اعتبرناه مبتدأ وخبراً متساويين في التعريف ، ويكون المبتدأ في هذه الحال مقدماً وجوباً ، وهو احتمال بعيد نادر الاستعمال ، لا أظن أنه خطر ببال المؤلف ، ولكنه يبقى خبراً قابلاً للصدق والكذب ، بلغة نحائنا القدماء ، أي أنه نسبي قابل للرد .

(٥٧) الصفحة ٢٢٩ ، وفي حديث المؤلف عن الفعل (to be) قالت عنه « إنه يدعى في العربية (إن) ، وهي الجذر الفعلي الذي جاء منه الفعل (to be) في الانجلى ... إلخ . »

نقول إن (إن) في العربية ليست فعلاً ، ولكنها حرف مشبه بالفعل ، وستقبل من المؤلف هذا التشبيه : لأن النحويين العرب لحوا إلى معنى الفعل فيها ، ولكننا نسأل عن التشابه بين (إن) وبين (to be) ؟

(٥٨) الصفحة ٢٣٠ سطر ٢٨ - ٢٩ ، قالت : « إن النحويين العرب يعتبرون أن النظام الطبيعي للجملة أن يكون (VSO) ، بينما النحويون في الانجلى يعتبرون بأن نظامها الطبيعي عندهم هو (SVO) ... إلخ . »

أ - لم تضع الكاتبة هذه الرموز في قائمة رموزها في أول الكتاب ، ولكن الأول يفسر بما يلي :

مفعول + فاعل + فعل = جملة فعلية

VSO = verb + subject + object

والثاني : مفعول + فعل + مبتدأ = جملة اسمية

SVO = subject + verb + object

يعني أن يكون في القمة الذروة ، والاسم (قمة) يعني ذروة الجبل ، وقريبها في الانجلى (acme) جاء من اليونانية ... إلخ .

أقول : الاحتمال الأقرب والأقوى أن (acme) قريبها العربي هو (أكمة) وليس (قمة) . ولكن الأهم من ذلك أن (قَم) لا يعني الارتفاع ، بل مضعفه (قَعَم) بثلاث ميمات ، ومنه جاءت القمة .

(٦٩) الصفحة ٢٥٩ سطر ٨ ، قالت : «طاس (Tasa) أصبح كالقمر في الجمال ... إلخ .» .

أقول : : طاس الشيء : كثر ، والطيس : الكثير ، ولم أجد علاقة بين الطيس والجمال والقمر .

(٧٠) الصفحة ٢٦٨ ، بعد مقدمة ممتعة عن اللغة المصرية القديمة ، عدت المؤلفه الخسارات التي تعرضت لها هذه اللغة ، ومنها خسارتها للسواكن التالية : ط - ظ - ص - ض - ع - غ - د - ز - ج - ل .

فقدان هذه السواكن ، بالإضافة إلى التباسات أخرى ، فماذا بقي من اللغة إذن ؟

وأنتني - وأنا لست متخصصاً - أطرح السؤال التالي: هل هذه حالة خسارة وفقدان ، أو هي مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟ ، هاجرت في وقتها هذه القبائل ؟ لن أطيل الكلام في هذه النقطة لأنني سأعود إليها من زاوية أخرى في النقطة التالية .

(٧١) عدت المؤلفه الخسائر التي تعرضت لها اللغات الهندية والأوربية ، واللغة المصرية القديمة بالنقاط التالية : ١ - خسارة الرمزية الصوتية .

٢ - خسارة السواكن التي ذكرناها في الفقرة السابقة ، ولا يوجد تمييز بين الضمة والواو وبين الكسرة والياء ، ومن المحتمل أنهم ميزوا بينها في الكلام ، ولم يفعلوا ذلك كتابة .

٣ - فقدان التمييز بين الأفعال الثنائية الثلاثية والرابعة ، ونعني بذلك امتزاج المجموعات الثلاث .

٤ - مثل هذه الامتزاجات تعني أن القواعد التي تضبط هذه الأفعال ، امتزجت هي الأخرى .

٥ - النتيجة الطبيعية لذلك هي فقدان الأوزان العربية الأصلية أو معظمها ، وخسارة معانيها الأصلية .

هذه الملاحظة الأخيرة هي بيت القصيد . إن المؤلفه تتحدث عن حقبة تاريخية قد تصل إلى عشرة آلاف سنة

رش - روى - راق ... إلخ .» .

فعل (راق) لا علاقة له بالمطر ، ولكن فعل (رك) ، يقال : رك السحاب ، أي جاء بالمطر القليل أو الضعيف . والفعلان الرابع والخامس علاقتهما بالماء أكثر وأوضح من علاقتهما بالمطر .

(٦٣) الصفحة ٢٤٦ ، في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة ، قالت : «الفعل الرابع (رز) يعني أيضاً المطر ، الصوت الاهتزازي يستعمل له صوت يؤز ، إنه يعني المطر الذي يصنع صوتاً عند سقوطه ، السماء تزمجر ، تصرخ ... إلخ .» .

أقول : التعليل أقرب مما ذهبت إليه المؤلفه ، (الرزان) بالزاي هو حبات المطر المتجمد ، أو ما يقال له البرد ، وهو نو صوت شديد عند وقوعه على الأرض أو السقف .

(٦٤) الصفحة ٢٤٦ في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة ، قالت : «الفعل /روى/ في العربية يعني أن يحصل على كفايته من الماء» .

أقول : إن هذا المعنى هو لفعل (روي) بالياء ، أو لفعل (ارتوى) ، أما فعل (روى) فهو فعل متعدٍ يعني تقديم الماء للآخرين .

(٦٥) الصفحة ٢٥١ ، وفي سياق الحديث عن المعنى الرمزي للنون في كلمة (مَنَعَى) قالت «إنها تعني في العربية طقوس الجنائز ، وهي مكونة من البادئة + الفعل» .

أقول : إن (منعى) إما مصدر ميمي من الفعل (نعى) أو اسم الزمان والمكان من الفعل ، أما الطقوس الجنائزية فليست من معانيها .

(٦٦) الصفحة ٢٥٣ سطر ٢٩ قالت : «الفعل (خَرَب) Xaraba يعني تهدم ... إلخ .» .

أقول : الفعل (خَرَب) بفتح الراء فعل متعدٍ يعني إيقاع الخراب بالآخرين ، والمعنى الذي ذكرته المؤلفه هو لفعل (خَرَب) بكسر الراء ، وليس بفتحها .

(٦٧) الصفحة ٢٥٤ قالت : «إذا نظرنا إلى الفعل (برج) بمعنى أنتج ، أحضر ، ومضعفه (بَرَج) بمعنى بنى برجاً ... إلخ .» .

أقول : لم أجد في معاني (بَرَج) ما يدل على الجلب أو الإنتاج .

(٦٨) الصفحة ٢٥٨ سطر ٢٠ ، وفي حديث المؤلفه عن المعاني الرمزية لحرف القاف ، قالت : «..... الفعل قَم

سبق أن طرحنا هذا السؤال ، وقد طرحناه هنا مرة أخرى مع الأمثلة . وسؤالنا للاستفهام المجرد .
(٧٣) الصفحة ٢٧٢ قالت : «نبت nebt في المصرية القديمة مشتقة من الفعل العربي (نبت) وفي العربية هو اسم فاعل في هذا التركيب (نابت) ، ومن المحتمل أنه كذلك في النص المصري القديم ؛ ولأن شكل الكلمة لا يحدد فصيلتها ، فمن الصعب أن نعطي رأياً قاطعاً ... إلخ .» .

ذكرت المؤلف أن اللغة المصرية القديمة مكتوبة بغير حروف صوتية ، وذكرت أن المستعصرين (أعني علماء المصريين ، قياساً على مستشرقين) - وكلهم من الخواجات الذين ليس عندهم حس لغوي عربي أصيل - هم الذين وضعوا لها الأصوات على قدر معرفتهم . وإذا كانت المؤلف واثقة من الكلام الذي كتبتة فإنها تستطيع الترجيح على الأقل إذا لم تستطع التأكيد .

اللغة المصرية القديمة ليست الوحيدة التي كتبت بغير أصوات ، وكذلك العبرية القديمة في التوراة . وقد جاء الدكتور كمال الصليبي بالأعاجيب عندما أعاد تصويت كلمات التوراة بطريقة أخرى في كتابه : التوراة جاءت من جزيرة العرب .

(٧٤) الصفحة ٢٧٤ ، جدول الأرقام ، قالت : «إن العدد تسعة أصله في العربية (بسط) الذي يعني الامتداد ، وبعد شرح وصلت إلى قولها : إن الرقم تسعة يعني النشر والامتداد في العربية» .

أقول : وجدت في المعجم : اتسع القوم ، صاروا تسعة أفلا يدل هذا على أن العدد تسعة جاء من فعل (وسع) وليس من فعل بسط كما قالت ، وفيهما ساكنان متطابقان (س - ع) بدلاً من ساكن واحد ؟

(٧٥) الصفحة ٢٧٨ ، قالت المؤلف : «... لأن البادئة العربية (م) تغير معنى الفعل إلى فئة أخرى ... إلخ .» .

أقول : البادئة العربية (م) تعني باصطلاح مشايخنا الميم المفتوحة المزيدة في أول الفعل ، وهذه الميم لا تأتي عندنا في أول الأفعال ، أو هذا مبلغنا من العلم على الأقل ، ومن قال بغير ذلك فعليه أن يقدم الأمثلة ، بل نزيد على ذلك شيئاً ، وهو أن الميم ليست من الحروف التي تزداد على أول الفعل العربي ، وهذه الحروف هي (ء - ا - س - ت) ، أما حروف المضارعة وسين الاستقبال فلها بحث آخر .

في حالة لغة المصريين الأسبقين ، وقد تزيد ، فهل يعقل أن تكون اللغة العربية كاملة ناضجة إلى الحد الذي تدعيه لها المؤلف في تلك الحقبة السحيقة من التاريخ ؟

إن الحديث عن أوزان أصلية ، واختصاص هذه الأوزان بمعان معينة في تلك المرحلة الموهلة في القدم ، يجبرنا على افتراض أن اللغة العربية وصلت الكمال في أصواتها ، وأوزانها ، واشتقاقاتها ، فكم تحتاج لغة من الوقت حتى تصل إلى هذه الدرجة من الكمال المبدع ؟

وإذا كانت اللغة الأم على هذه الدرجة من النضج والكمال والسموق فكيف نعلل قصور بناتها وتشويهها ؟ ؛ وكيف نعلل أيضاً فقدان هذه اللغات لمستوى الرمزية الصوتية ؟ ؛ لماذا لم تحتفظ ولو لغة واحدة بهذه الرمزية ؟ ، أليس ذلك دليلاً على أنها هاجرت قبل تمام نضج اللغة الأم ؟ ، ثم إذا أخذنا ترتيب المؤلف لعدد السواكن المفقودة فسندجها بالترتيب التنازلي التالي :

- أ - لغة المصريين الأسبقين ، أصابت الخسارة الكبرى .
 - ب - اللغة اللاتينية تأتي بعد السابقة في حجم الخسائر .
 - ج - اللغة الإنجليزية القديمة أقلها في حجم الخسائر .
- هذا الترتيب التنازلي ألا يوحي بأن وقت الهجرة له علاقة بحجم الخسائر ، وحجم الخسائر له علاقة بالمستوى العام لنضج اللغة الأم .

أنا لست متخصصاً ، ولكني أطرح سؤالاً على المختصين ، إن الدعوى العريضة التي تقيمها المؤلف لا يجوز التسليم بها لمجرد التعصب ، ولا بد من حيثيات لهذا الحكم الضخم .

(٧٢) من النقاط المهمة أن المؤلف في حديثها عن اللغة المصرية القديمة لم تذكر هل استعملت لها الحروف اللاتينية بمدلولها العربي الذي وضعته في أول الكتاب ، أو بمدلولها الأجنبي لأنها تنقل عن مراجع أجنبية ؟

(٧٣) الصفحة ٢٧٠ ، وفي حديث المؤلف عن البادئة (أ) في المصرية القديمة ، ضربت الأمثلة التالية :

أب	ابتهج	/	أب	أبل
أق	أقبل	/	أم	أطعم

هل هذه حالة اختصارات حادة تعرضت لها اللغة على حد تعبير المؤلف ؟ ؛ أو هي حالة ، بل مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟

كان يمكن اختصار حجم مهم من الكتاب يخصص لمزيد من الأمثلة .

رابعاً : لم تذكر المؤلف كلاً شافياً في نظرية البدائل هل هذه البدائل موضع اتفاق بين العلماء ، أو هي موضع خلاف بينهم ؟ ثم هل وضعت نظرية البدائل على الكلمات القديمة جداً ، أو وضعت على الكلمات التي دخلت إلى اللغات الأوربية في عصر الترجمة الكبرى عن العربية ؟ ، ولا يخفى على القارئ أهمية هذه الأسئلة على خط الدراسة ونتائجها .

خامساً : إن تنبيهنا سابقاً على اتكاء المؤلف على بعض الألفاظ العامة لا يعني منا الإنكار ، ولكنه يعني التنبيه والتذكير بأن المؤلف عنونت كتابها باسم «العربية الكلاسيكية» ، وهذه العربية ليس فيها هذه المعاني . ونحن نذهب مع المؤلف إلى ما هو أبعد من ذلك : إن أية كلمة في أية لهجة قبلية أو محلية تصلح مرجعاً في هذا البحث ، بشرط أن تكون قديمة ، وغير واردة إلى العربية من لغات أخرى كالفارسية أو الكردية أو التركية ... إلخ . أما الكلمات العامة الحديثة فهي مرفوضة على وجه القطع .

سادساً : ذكر الملخص العربي الذي أثبتته المؤلف في آخر كتابها ما يلي : «أن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية من أصل عربي ، وأن ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي ، وبالتالي الكلمات المشتقة منها .» .

لم يذكر هذا الملخص هل هذه النسبة المثوية تدخل فيها الأسماء والأفعال العربية التي انتقلت إلى هاتين اللغتين في عصر الترجمة الكبرى ، أو هي على الكلمات الموجودة قبله ؟ إن مثل هذا التحديد مهم جداً في سياق هذه الدراسة .

سابعاً : لم تذكر المؤلف ثبناً بالمراجع التي سبقتها إلى تناول فكرة الكتاب ، حتى يمكن للباحث أن يقدر مدى الإضافة التي قدمتها الباحثة إلى هذا الموضوع ، وإن كنت أظن أن أحداً لم يتناول موضوعها بهذا المدى من السعة والعمق ، من قبل .

وفي النهاية ، أرجو ألا تفهم المؤلف الفاضلة التي أكن لها كل تقدير واحترام ، ولا أحد من السادة القراء ، أنني سقت الملاحظات السابقة بقصد التشنيع أو الإنقاص من

(٧٦) الصفحة ٢٨٣ قالت : «إن الصيغة المصرية القديمة (meri) هي النعت (مراد) (murad) في العربية ، وتعني المختار أو المحبوب ، وهي مشتقة من الفعل (راد) مسبقة بالبادئة (م) ... إلخ .» .

أ - إن النعت (مراد) مشتق من الفعل (أراد) وليس من الفعل (راد) .

ب - إن بادئته هي (م) ميم مضمومة ، وليست ميماً مفتوحة كما ذكرت المؤلف .

ج - كان للمؤلفة أن تختصر كلامها الطويل بقولها : إن الصيغة هي اسم مفعول من (أراد) .

(٧٧) الصفحة ٢٨٤ ، قالت : «إن (مع) حرف جر تعني بالإنجليزية with ... إلخ .» .

أقول : (مع) عندنا ظرف وليست حرف جر .

سنكتفي بهذا القدر من الملاحظات ، وهي ملاحظات سقناها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . ولكن لا يمكن أن نختتم كلامنا عن الملاحظات بدون ذكر النواحي التالية :

أولاً : كنا نتمنى أن تزود المؤلف كتابها بجداول للأبجدية الإنجليزية القديمة وأصواتها ، أو المعروف من أصواتها على الأقل ، وكذلك اللاتينية ؛ لأن ذلك سيسهل كثيراً من الأمور على قرائها ، الذين ليسوا جميعاً من المتخصصين . لم أذكر اليونانية لأنها لم تستعمل منها أمثلة كثيرة ، وإن كان ينبغي عليها أن تشرح بعض الكلمات التي تحتوي على رموز غريبة كالأشياء () التي جاءت على الجداول في الصفحة ١٣٣ ، ولكن ذلك لم يتكرر لحسن الحظ .

ثانياً : إن البحث الممتع الذي قدمته المؤلف عن الرمزية الصوتية ، وهي تعرف سلفاً بأنه موجز ، تجاهلت فيه كلياً ، وجوه الاعتراض الممكنة والمطروحة عليه ، أو الوجوه التي تحتاج إلى تفسير على الأقل ، وهي تعترف أيضاً بأن الرمزية الصوتية ماتت في اللغات الأخرى ، أي أن البحث لم يقدم شيئاً ذا بال للموضوع الرئيسي الذي خصصت المؤلف كتابها له .

ثالثاً : الكلام نفسه يمكن أن يقال عن بحث الأوزان العربية ، ما دامت هذه الأوزان قد تغيرت فقد كانت تكفي ملاحظة مختصرة مع المثال موضوع الدرس ، وبالتالي

وأنا أعرف أن المؤلفة مشغولة بأعمال كتابية أخرى ، ولكنني أسمع لنفسني أن أناشدها على مسمع العالم العربي كله وأن أرجوها قائلًا : إنها تكتب في مجالات يستطيع غيرها أن يغني عنها فيها ، وتترك المجال الذي يؤكد كتابها أنه لم يوجد حتى الآن من يستطيع أن يقوم مقامها فيه .

بل أقول أكثر من ذلك : لقد انتهت من القسم الصعب المطلوب في أية دراسة وهو هيكل البحث ومخططة ، وما عليها إلا أن تطبق هذا المخطط على لغات أخرى .

إن ما جاء في هذه الدراسة ليس ذمًا للكتاب ولا قدحًا فيه ، ولكنه محاولة للوصول به إلى درجة أرقى من التمام والكمال ، أما الكمال التام فلم يكن لأحد من قبل ، وإن يكون لأحد من بعد ، إنه الظل الذي يجري خلفه عظماء الإنسانية ولم يبلغوه ، وسيجري خلفه البشر حتى يرث الله الأرض وما عليها .

قيمة هذه الدراسة النفيسة الفريدة . إنني أعذر المؤلفة وأقدر جهودها ووضعها النفسي في دراسة امتدت بضع عشرة سنة ، قضت فيه المؤلفة آلاف الساعات مع المعاجم وأشباح الموتى من الألفاظ والناس والاحتمالات المختلفة ، وأقدر جيدًا الوضع النفسي الذي قد يصل بالمبدع مع إبداعه إلى درجة الإعدام أحيانًا . إن ما أطمح إليه من هذه الدراسة والملاحظات أن تعيد المؤلفة النظر في كتابها عند ترجمته أو إعادة طبعه لتتلافى مواضع النقص فيه . وأرجو أن تتابع الدراسة التي بدأتها على لغات أخرى غير اللاتينية والإنجليزية القديمة : لأن المؤلفة تمتلك حسًا لغويًا فريدًا ، كما تمتلك آلة لغوية أجنبية راقية تمكنها من السباحة في المراجع الأجنبية المختلفة ببسر وسهولة وثقة ، وهي بذلك مؤهلة أكثر من سواها لمتابعة هذا الجهد العظيم النبيل .

(٢٥) الخاتمة

ولذلك لا بد من المزيد من الدراسات . وإذا كان للعرب أن يقولوا من قبل : نحن أصحاب حضارة ، فلهم أن يقولوا بعد ذلك : نحن الحضارة ونحن التاريخ ، ونحن البشرية ، ومن هنا ، من هذه الجزيرة أشرق فجر الإنسانية ، منها خرج الإنسان ، أمتنا هي أم الأمم ، وحضارتنا أم الحضارات على الأرض ، نقول هذا الكلام لأولادنا وطلابنا ليس من باب الاستعلاء ، ولكن ليكونوا في مستوى العطاء الحضاري المأمول منهم ، فالإنسان كالشجرة ، كلما ازدادت جذوره وانتمايته عمقًا في تراب التاريخ كلما ازدادت شخصيته قوة واستقلالاً وتميزاً وصموداً وقدرة على العطاء ، نقول هذا لأولادنا ليزدادوا إيماناً بأن إنسان هذه الأرض كان ولا يزال وسيبقى صانع حضارة ؛ بل هو أبو الحضارات جميعاً . ولذلك أدعو الدارسين إلى متابعة الجهد الذي بدأتها هذه السيدة الفاضلة التي شقت طريقاً يحتاج إلى متابعة في أكثر من اتجاه . والله من وراء القصد .

نحن مسلمون ، وليس في عقيدتنا ما يمنع ؛ بل في قصصها الديني ما يؤيد أن الجزيرة العربية مهد الاجتماع الإنساني ، ونؤمن بأن آدم عليه السلام أبو البشر الحاليين الذين يعيشون على الأرض اليوم ، ونؤمن بالقرآن الكريم الذي جاء فيه ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ .

اختلفت العلماء في هذه الأسماء ، المؤلفة الفاضلة تضعنا أمام دراسة رصينة تثبت أن هذه الأسماء كانت عربية ؛ بل وعشرات الأفعال أيضاً .

هل كان هذا المعنى الإسلامي من أهداف المؤلفة الفاضلة عندما تفرغت عشر سنوات لتأليف هذا الكتاب ؟ ؛ كنت لا أستبعد ذلك ، ولكنني بعد أن قرأت كتابها العربي صرت أجزم بذلك ؛ لأن الكاتبة عربية مسلمة تحب لغتها إلى درجة العشق ، وهي تعرف جيدًا حقيقة ما هي مقدمة عليه ، فهي عندما تثبت أن اللغة العربية أصل الكلام تثبت في الوقت نفسه أن جزيرة العرب هي مهد الاجتماع الإنساني ، ولكن ذلك لا يتم بالتعصب للرأي واعتساف الحجج ، فلا بد من الدلائل المشرق والحجة الواضحة ،